سلسلة الدروس العلمية (١)

مذكرة

شرح كتاب الأصول الثلاثة

للشيخ راشد بن عثمان الزهراني

هذه المذكرة كانت في الأصل دروس أملاها شيخنا على الطلاب في جامع القاضي بمدينة الرياض ابتداء من ١٤٣٠/١٢/٢٥هـ إلى ١٤٣١/٢/١هـ وقام إخوانكم في موقع الشيخ راشد الزهراني بتفريغ هذه الدروس ولاي ملاحظات وافكار نامل التواصل معنا عبر بريد: info@rashed.ws

العناوين الرئيسية المتن المسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

العناوين الرئيسية   المتن   المسائل

المقدمة

العناوين الرئيسية المتن المسائل

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم زدنا علما وهدى وتقًى يا ذا الجلال والإكرام.

أيها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: في هذه الليلة المباركة ليلة الأحد الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة من عام ألف وأربع مئة وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ نجتمع في هذا اللقاء المبارك وفي أول هذه الدروس العلمية والتي نتحدث فيها عن أمر في غاية الأهمية، أمر يمسّنا جميعًا، ويعنينا جميعًا، وهو دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم. إنّه توحيد الله عز وجل.

وهذا التوحيد هو المهمة العظيمة التي من أجلها بُعث الأنبياء والمرسلون عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ ولذا فإنَّ الله عز وجل ما بعث نبيًا من أنبيائه إلا وهو يقول لقومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) سورة المؤمنون آية ٢٣، ويقول سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) سورة النحل آية ٣٦، وغيرها من الآيات التي تدل على هذا الأمر. والنبي ﷺ بيّن هذا فقال: **(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد)**(١)، فدين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعًا بلا استثناء هو دين الإسلام الذي بُعث به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فأصل الدين عند الأنبياء جميعًا واحد وهو الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإلى إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة. وأما شرائعهم فتختلف من نبي إلى آخر عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وحينما نتأمل أيضا في دعوة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام نجد أنّ القضية الكبرى التي كان يُعنى بها عليه أفضل الصلاة والسلام هي قضية التوحيد، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، بل إنّ النبي عليه الصلاة والسلام مكث في مكة

---

(١) صحيح البخاري: باب واذكر في الكتاب مريم (٣ / ١٢٧٠).

العناوين الرئيسية | المتن | المسائل

www. rashed. ws

ثلاث سنوات في دعوته السرية، وكانت هذه الدعوة مقتصرة فقط على الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم بعد ذلك حينما أعلن النبي ﷺ دعوته وجهر بها مكث عشر سنوات أيضا قبل أن يهاجر وهو يخصّ الناس بالدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

والسبب في ذلك أن الأمم التي تؤسس تأسيسًا عقائديًا صحيحًا تستطيع في المستقبل أن تقدم مشاريعها التي تنهض بها؛ ولذا فإن النبي ﷺ حينما هاجر إلى المدينة هاجر برجال قليلينَ في العدد، لكن لديهم من الإيمان والعقيدة ما يجعل النبي ﷺ يعتز بهذه الفئة المؤمنة القليلة.

وحينما نتأمل في واقعنا الآن واقع عالمنا الإسلامي نجد أنّه للأسف أصبحت الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى دعوة هامشية ليست دعوة أصيلة، ومن مظاهر هذا التهميش قلة العلماء الذين يقدّمون الدروس المتعلقة بالعقيدة، كذلك قلة البرامج الإعلامية التي تقدّم الدروس في العقيدة وقلة الأطروحات التي تقدَّم في خطب الجمع والتي تتعلق بالعقيدة. فيا سبحان الله! هل وصلنا إلى المرحلة وإلى الحالة التي أصبحنا فيها قد تشرّبنا هذه العقيدة تشرّبًا صحيحًا وأصبح عالمنا الإسلامي بعيدًا كل البعد عن هذه المخالفات وهذه الأخطاء العقدية؟!

وحينما نتأمل في العالم من حولنا نجد من يقدّس الأولياء والصالحين، ونجد من يطوف حول قبورهم وأضرحتهم، ففي نيجيريا مثلاً: في منطقة اسمها أميدا فيها قبر بُني عليه على شكل الكعبة يطوف حول هذه الكعبة ثلاثة ملايين شخص ينتسبون إلى الإسلام، فكيف نقول: إنّ مسائل التوحيد والعقيدة أصبحت أكثر وضوحًا للناس جميعًا؟! وما أعظم ما قاله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في كتابه كشف الشبهات حيث قال: (ولكن هذه القصة[١] تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أنّ قول الجهال: التوحيد فهمناه أنّ هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان).

---

(١) يشير رحمه الله إلى حديث: (اجعل لنا ذات أنواط).

والأمثلة على هذا كثيرة، ومن ذلك قوم نوح الذين عبدوا ودًا وسُواعًا ويغوث ويعوق ونسرا، وهؤلاء كانوا رجالاً صالحين، قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير: كان أول ما عبدت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صورة أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان جعلوا أجسادا على تلك الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين: ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة رسوله نوحا فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له[(١)].

نحن الآن أمام مسؤولية كبيرة جدًا في إرشاد الناس إلى هذه العقيدة الصحيحة التي بعث بها رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ ولهذا كان اختيار كتاب الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لبيان هذه المسائل، وحينما نقدم لكم شرح هذا الكتاب بإذن الله ستجدون الكثير من المسائل العظيمة التي قد احتواها هذا الكتاب؛ ولذا فإن العلماء يوصون بقراءة هذا المتن (الأصول الثلاثة) وحفظه في بداية طلب العلم فيما يتعلق بعلم العقيدة والتوحيد من أجل أن يؤصّلوا أنفسهم ويؤسّسوا بنيانهم ليكون توحيدهم قد بني على عقيدة صحيحة سليمة مبنية على الدليل من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

وقبل البدء في شرح (الثلاثة الأصول) للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى رحمه واسعة- نقدّم بثلاث مسائل:

المسألة الأولى: نبذة مختصرة عن حياة المؤلف:

من المهم قبل الحديث عن سيرة المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- أن نتعرف على وضع المنطقة الديني قبل دعوته -رحمه الله تعالى- وقبل بيانه للحق الذي أوجبه الله عز وجل عليه، فمن العلماء الذين تحدثوا عن هذه المسألة الشيخ سليمان بن سحمان -رحمه الله- حيث تحدث بنظرة قاتمة جدًا عن وضع منطقة الجزيرة العربية قبل دعوة الشيخ -رحمه الله- وكيف كان الناس يعتقدون في الأشجار والأحجار ويعتقدون أنها تضر وتنفع من دون الله سبحانه وتعالى. وذكر ابن غنّام -رحمه الله- في

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٩٨).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

السيرة التي كتبها عن حياة المؤلف حيث قال: كان الناس يعبدون غير الله ويتضرعون إلى غير الله، وكانوا يأتون من المنكرات الشيء الكثير، فعلى سبيل المثال: كان هناك ذكر نخل فحّال معروف كانوا يأتون إليه فيجتمعون حوله ويطلبون منه الغوث من دون الله عز وجل، فيأتي المريض ويطلب منه أن يشفيه من مرضه، ويأتي الفقير ويطلب منه الغنى، وتأتي المرأة التي لم ترزق بالزوج فتقول: يا فحل الفحول أعطني زوجًا قبل الحول، وغيرها من مظاهر الشرك التي عمت وفشت في المجتمع، وكان هناك شجرة يسمونها الذئب كانت المرأة إذا رزقت بمولود ذكر أتت إليه وأحضرته أمام هذه الشجرة من أجل أن لا يموت أو يصاب بعين أو يصاب بحسد، وغيرها من الأمور، وكان في الدرعية مجموعة من القبور التي ينسبونها إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم ويتقرب إليها بأنواع العبادات والقربات والطاعات.

أما في جانب العبادة فقد كتب الشيخ في بعض رسائله أن بعض سكان البوادي لم يعودوا يعرفون من الإسلام شيئًا؛ لا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا أي أمر من أمور العبادة، فضلا عن توحيد الله سبحانه وتعالى الذي أضاعوه.

أيضا كان يتحدث عن العلماء وأنهم أصبحوا مقلدة، وابتعدوا عن الاستنباط وعن الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأصبح أئمة المذاهب بمثابة الرموز التي لا يخرجون عنها، بل إن أحدهم إذا سمع تقريرا يخالف قول النبي ﷺ أو سمع فتوى من إمام تخالف قول النبي أخذ بقول الإمام وردّ قول النبي ﷺ.

فكانت الأمة في ظلّ هذا الجو البعيد كلّ البعد عن المنهاج الصحيح الذي أتى به النبي ﷺ بحاجة ماسة إلى من يجدد لها ما اندرس من معالم دينها، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)**(١) وهو حديث صحيح صححه الألباني.

---

(١) سنن أبي داود (٤ / ١٧٨)، قال الألباني: صحيح.

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

المجددون في الإسلام:

وفقه هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى على رأس كل مئة عام يبعث إلى هذه الأمة من يجدد لها أمر دينها رحمةً بهذه الأمة، وليس المراد أنهم يأتون بدين جديد، وإنما يجدّدون للناس ما غاب عنهم وما غفلوا عنه وما جهلوه من أحكام كتاب الله ومن أحكام سنة محمد ﷺ، هذا المجدد -كما يقول العلماء- لا يشترط أن يكون فردًا، فقد يكون فردًا، وقد يكون جماعة، وقد يكون فردًا يجدد في قضايا كثيرة في الدين، وقد يكون فردًا يجدد في جزئية من جزئيات الدين، يكون مجددًا في الفقه أو العقيدة أو أمر من أمور هذا الدين.

يقول العلماء: إن أول مجدد في المائة الأولى هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وفي المائة الثانية: الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، كما يذكر الإمام أحمد.

وفي المائة الثانية عشر: كان المجدد لما اندرس من معالم الدين هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رحمه الله تعالى رحمه واسعة.

هذا الحديث: **(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)** فيه الكثير من الفقه ويحتاج إلى تفصيل، ولكن المقام ليس مقام الحديث عنه، ولعله يبسط في شروح أخرى.

ولادته ونشأته:

في عام ألف ومئة وخمسة عشر من الهجرة (١١١٥هـ) في بلدة العيينة ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في أسرة معروفة بالعلم، فوالده كان قاضي العيينة، وكان الشيخ في بداية طلبه للعلم يتعلم على يد والده، وكان شديد الذكاء سريع البديهة، حفظ القرآن ولم يبلغ الحُلم، ولمّا بلغ الثانية عشرة من عمره طلب من والده أن يأذن له بالحج فأذن له، فلما عاد أصبح والده يقدمه للناس في إمامة الصلوات.

عرف -رحمه الله- في بداية تعلمه بحرصه على طلب العلم، فبدأ برحلاته في طلب العلم، وكانت أول هذه الرحلات إلى مكة المكرمة، ثم بعد ذلك انتقل إلى المدينة وفيها التقى بعالمين جليلين كان لهما الأثر العظيم في حياته، **الأول**: الشيخ عبد الله بن يوسف وهو من أهل المجمعة وكان من المهتمين بعلم الفقه على مذهب الإمام أحمد، والتقى كذلك بالشيخ محمد حياة السندي وكان من علماء الحديث المستنكرين لما يفعله الناس عند القبور

والأضرحة ومزارات الأولياء، وقد ألقى هذه المعاني في قلب تلميذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأرشده إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه القيّم ابن قيّم الجوزية رحمهما الله.

وهنا وقفة: قد يكون عند الإنسان مشروع يريد أن يقدمه لهذه الأمة أو فكرة يريد أن يطرحها للناس، لكن تحول الظروف بينه وبين تنفيذ هذا الأمر أو قد لا يكون لديه من القدرات والطاقات ما يجعله يقدم هذا الأمر للأمة، فيقول كلمة لشخص أو لتلميذ فيفتح الله عز وجل على يديه.

فهذا الإمام البخاري -رحمه الله- يبين أن سبب تأليفه لكتابه الصحيح الذي جمع فيه أحاديث النبي ﷺ كلمة سمعها من شيخه فوعاها قلبه وأصبحت حاضرة في ذهنه حتى أصبح الحلم حقيقة، قال -رحمه الله-: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة النبي ﷺ. قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح.

وكتابه المعروف بصحيح البخاري والذي أسماه: (الجامع الصحيح المسند المختصر من سنن رسول الله وأيامه وأقواله) أصبح أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

كذلك الشيخ محمد حياة السندي -رحمه الله- كان يحمل هذا الفكر وهذه الدعوة الإصلاحية، لكنه طرح هذه الفكرة وبذرها في قلب تلميذه محمد بن عبد الوهاب فأنبتت نباتًا صالحًا.

كما سافر الشيخ -رحمه الله تعالى- إلى البصرة وفي البصرة، فتلقى علم اللغة العربية وعلم الفقه ومجموعة من العلوم، وكان من بين العلماء الذين تلقى العلم على أيديهم الإمام محمد المجموعي -رحمه الله -، فقد استفاد الشيخ منه فائدة عظيمة كما يذكر ذلك رحمه الله.

وفي البصرة حدث للشيخ موقف أصبح نقطة تحول في حياته، حيث بدأ الشيخ ينظر إلى بعض المخالفات والسلوكيات الخاطئة، فبدأ يمارس أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجادل الناس ويناقشهم ويبيّن لهم الحجة بالحجة، حتى أغضب ذلك أهل البصرة فطردوه في وقت شديد الحر، فخرج -رحمه الله- ليس معه راحلة وإنما يمشي على قدميه حتى أشرف على الموت لولا أن الله عز وجل رحمه برجل أركبه على حماره ثم ذهب به بعد ذلك إلى الزبير.

ومن البلاد التي زارها والتقى بأهل العلم فيها الأحساء، حيث كانت تضم نخبة من أهل العلم، التَقى الشيخ فيها بالشيخ ابن فيروز والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ ابن عفالق وغيرهم من العلماء الذين ناقشهم، وقد عقد الشيخ جلسات علمية كبيرة بينه وبين العلماء هناك.

بعد هذه الرحلة عاد الشيخ –رحمه الله– إلى حريملاء حيث انتقل والده قاضيًا هناك، وفيها بدأ الشيخ –رحمه الله– بالدعوة إلى الله، ولكن ليس بالقدر الكبير فقد حدث خلاف بينه وبين والده.

وهنا نقدم هذه السيرة من أجل أن تعرفوا أن أي نجاح في هذه الحياة للداعي إلى الله ولمعلم الناس الخير لا يأتي بسهوله، فلا تظن أن هذه الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب وذاع صيتها وانتشرت في الآفاق أتت بسهوله وبين عشية وضحاها، بل إن الشيخ أصيب بأنواع من الأذى وصلت إلى حد الموت.

بدأ خلاف بينه وبين والده، والمؤرخون يعزون هذا الخلاف لأسباب من بينها أن والده كان يخالفه في أسلوب دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، فلم يكن الشيخ قادرا كل المقدرة على أن يبلغ كل ما لديه.

وفي هذه الأثناء ألف الشيخ –رحمه الله– الكتاب المشهور الذي انتشر في الآفاق ونفع الله عز وجل به البلاد والعباد وهو (كتاب التوحيد).

وبعد وفاة والده انطلق الشيخ –رحمه الله– بدعوته بإعلانها وبإظهارها، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفق ما يعرفه من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وفي حريملاء كانت هناك قبيلتان كل قبيلة تريد أن تكون لها الزعامة، وكان هناك بعض الموالي الذين انتشر بينهم الفساد، فقرر الشيخ أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فلما علموا بهذا قرروا أن يغتالوا الشيخ –رحمه الله–، فتسوروا في ليلة سور منزله فلما اعتلوا السور رآهم الناس فصرخوا بهم فذهبوا.

بعد هذه الحادثة رأى الشيخ أن حريملاء لم تعد مكانًا مناسبًا وآمنًا لبقائه.

www. rashed. ws

انتقال الشيخ إلى العيينة:

فانتقل الشيخ بعد ذلك إلى العيينة، وكان فيها الأمير ابن معمر، وقد سمع عن دعوة الشيخ -رحمه الله- واقتنع بها، فذهب الشيخ واستقر في العيينة التي هي مسقط رأسه، وأيضًا وجد من الأمير ابن معمر التأييد والنصرة لدعوته، فبدأ يدعو الناس ويعلمهم ويرشدهم، فكان أول ما بدأ به إزالة القبة التي بنيت على قبر يقال: إنه لزيد بن الخطاب، وكان الناس يعتقدون فيه الضر والنفع ويعلقون عليه ويرجون منه البركة والخير، فلما أزال هذه القبة أخذ الناس يترقبون الضرر الذي سيلحق بالشيخ -رحمه الله تعالى-، فلما أتى اليوم التالي ورأوا أن الشيخ لم يصبه شيء بدؤوا بالاقتناع بالحق الذي يدعو إليه.

ومن الأحداث التي نقلها المؤرخون أن الشيخ ذات يومٍ وهو في سطح منزله سمع شخصًا يستغيث بغير الله ويدعو رجلاً يقال له: سعد، فأطل الشيخ برأسه وقال: (لا تقل: يا سعد، وإنما قل: يا رب سعد).

أعلن الشيخ -رحمه الله- دعوته، ودعا إلى تحكيم الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذه الأثناء بدأ علماء السوء يجلبون بخيلهم ورجلهم من أجل القضاء على الشيخ ووأد دعوته، فكانت البداية بمناقشات ومناظرات علميه بين الشيخ وخصومه، فكانوا يكتبون ويرد عليهم، وكان من بين هؤلاء أخوه سليمان، حتى بلغ به الحال أن أقام ثورة في حريملاء بعدما انتقل الشيخ إلى الدرعية بمناصرة الإمام محمد بن سعود من أجل أن تنفصل حريملاء عن الدرعية، ولكن هذا الأمر لم يتم له، ثم كتب كتابًا فيه خمس عشرة مسألة ينتقد فيها أخاه الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

لما علا ذكر الشيخ وبدأ اسمه ينتشر في الآفاق ولم يصل خصومه معه إلى نتيجة فبدأ بعضهم بالكتابة إلى السلاطين من أجل أن يقضوا على الشيخ -رحمه الله-، وكان من بين هؤلاء السلاطين الذين تأثروا بهؤلاء الخصوم زعيم بني خالد سليمان بن محمد، حيث أتت إليه الرسائل من العلماء تفيد بأن السيخ محمد بن عبد الوهاب يضر بعقائد الناس وأنه بدأ يؤثر على مد نفوذ سليمان بن محمد زعيم بني خالد، فأرسل إلى ابن معمر يطلب منه أن يخرج الشيخ من بلده ويهدده بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن يقطع عنه الإعانة السنوية التي كان يقدمها له.

الأمر الثاني: كان لابن معمر مزرعة بالأحساء فهدده بأن لا يأخذ منها شيئًا.

والأمر الثالث: كانت الأحساء ميناء، فهدده أن يمنع تجاره من أن يدخلوا إليها.

أمام هذا الأمر رضخ ابن معمر إلى هذه الرغبة وطلب من الشيخ أن يخرج من العيينة، فذكره الشيخ بالله ووعده بنصر الله وأن الله عز وجل ينصر من ينصره: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة الحج آية ٤٠**، فرفض ابن معمر الأمر وقال: على أقل تقدير اخرج سنة أو سنتين ثم بعد ذلك عد إلينا.

ومن عظيم تقدير الله عزوجل أن سليمان بن محمد زعيم بني خالد والذي كان وراء إخراج الشيخ من العيينة حدث صراع بينه وبين زعماء بني خالد على القيادة وكانت النتيجة أن ابعد سليمان بن محمد عن القيادة وتوفي طريداً في الخرج سنة ١١٦٦هـ والجزاء من جنس العمل

انتقال الشيخ إلى الدرعية:

أمام رفض ابن معمر لم يكن للشيخ بد من مغادرة العيينة، وكان أقرب مكان يناسب ذهابه إليه الدرعية، والسبب في ذلك أن الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- أمير الدرعية كان عدوًا لزعماء بني خالد، كما أن بعض إخوة الأمير وأبنائه كانوا من تلاميذه -رحمه الله-، ومن أبرزهم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

لما نزل الشيخ في الدرعية توجه إلى منزل عبد الله بن سويلم، والتقى الإمام محمد بن سعود والذي أيضا حثته زوجته على أن يضع يده في يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأن يقوموا بهذه الدعوة لعل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في الجهود، وشرح الشيخ دعوته وأنها تبنى على توحيد الله وإفراد الله عز وجل بالعبادة وهي دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فاقتنع الإمام بذلك وقال: سأنصرك بشرطين:

الأول: أنه إذا كانت لك الغلبة أن لا تغادر وتبقى بيننا، فقال: أما هذه فالدم بالدم والهدم بالهدم.

قال: الثانية: أنني آخذ مالاً من أهل الدرعية فلا تمنعني من أخذه، والشيخ لم يعطه جوابا صريحا في هذا، ولكنه قال: لعل الله سبحانه وتعالى أن يبدلك وأن يغنيك بالغنائم ما هو خير مما تأخذ من أهلك.

وهنا بدأ الشيخ -رحمه الله- مسيرة جديدة في الدعوة إلى الله، وأخذ يكاتب العلماء والرؤساء، وبدأ الجهاد في سبيل الله من أجل توحيد الله سبحانه وتعالى، وبدأت الدعوة

تنتشر شيئا فشيئا، واستمر -رحمه الله- على هذا ناصحا ومناصرًا، وكان له اليد الطولى في بناء الدولة السعودية الأولى، وكان يستشار في أمورها السياسية والاقتصادية وفي بيت مالها وفي كل ما يتعلق به من قضايا، حتى وافته المنية -رحمه الله تعالى رحمه واسعة- في عام ألف ومئتين وستة من الهجرة (١٢٠٦) بعد حياة حافلة بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وبالجهاد وبنصرة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وسيرة الشيخ -رحمه الله- مليئة بالعظات والعبر، لعلكم تعودون إلى المصادر فتستقوا المزيد من المعلومات عن حياة هذا الإمام رحمه الله تعالى.

المسألة الثانية: مبادئ علم العقيدة:

كل علم من العلوم التي يريد طالب العلم أن يتعلمها لا بد أن ينظر في مقدماتها، وهذه المقدمات تنتظم في عشر مسائل إذا أدركتها فإنها تكون كالمفتاح وكالباب لهذه العلوم، وقد جمعها الشاعر في قوله:

إن مبـــادئ كلّ فـــن عشرَه: ... الحـد والموضـوع ثـم الثمـرَه
ونسبـــةٌ وفضلـــه والواضـع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائلُ والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حـاز الشرفا

المبدأ الأول: حد علم التوحيد:

الحد: هو التعريف الجامع لكل ما يندرج في جزئيات هذا المعنى والذي يخرج غيره منه.

ما حد التوحيد؟

التوحيد هو: إفراد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

المبدأ الثاني: موضوع علم التوحيد:

علم التوحيد هو العلم الذي يبحث في توحيد الله عز وجل ومعنى الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويبحث في أركان الإيمان الستة.

المبدأ الثالث: ثمرة علم التوحيد:

للتوحيد ثمار عظيمة منها:

١- أول هذه الثمار أن تعلم أن أعظم عبادة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى هي توحيده وإفراده بالعبادة، وهو أول واجب على المكلفين.

٢- ومن الثمرات معرفتك بتوحيد الله وإخلاص العبادة له؛ ولهذا لو تقرؤون الجزء الأول من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تجدون أن هذا الكتاب أو هذا الجزء مبني على توحيد القصد والإرادة، فلا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا فيما عند الله، ولا توكل إلا على الله، وحينما توحد قصدك وإرادتك وخوفك فإنك بهذا تعظم الله سبحانه.

المبدأ الرابع: نسبة علم التوحيد إلى العلوم الأخرى:

علم التوحيد من أجلّ العلوم؛ لأنه يتعلق بمعرفتنا بالله سبحانه وتعالى، وشرف كل علم بشرف متعلقة.

المبدأ الخامس: فضل علم التوحيد:

فضله كما بينا سابقًا أنه يتعلق بتوحيد الله وبإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وكفى بهذا فضلاً وشرفًا.

المبدأ السادس: واضع علم التوحيد:

إذا تأملنا سيرة النبي ﷺ نجد أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يفرق فيما يقدمه للصحابة بين عقيدة وشريعة، فلا يقال: هذا أمر هام لأنة يتعلق بالتوحيد وهذا الأمر غير هام لأنه يتعلق مثلا بالصلاة، بل كان النبي عليه الصلاة والسلام يبلّغ العلم للصحابة الكرام رضي الله عنهم، فيأخذون هذا العلم ويعملون به في حياتهم ويبلغونه إلى من وراءهم، فلم يكن هناك تفريق، فلما مات النبي ﷺ ومات كبار الصحابة وبدأت الفتن تطل برأسها ظهرت فرقة الخوارج وظهر في مقابلها المرجئة، وظهرت القدرية فقابلها الجبرية، فكان لا بد أن يقرر العلماء عقيدة أهل السنة والجماعة، فبدؤوا في تصنيف كتب الاعتقاد، منها ما كان عبارة عن ردود على بعض المقالات المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة وخاصة حينما نشأ القول بخلق القرآن، ومنها ما كان فيه تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة ككتاب الإيمان وغيرها من الكتب التي ألفها العلماء.

المبدأ السابع: أسماء علم التوحيد:

يطلق عليه: التوحيد، العقيدة، أصول الدين، الفقه الأكبر، أصول الإيمان.

كل هذه الألقاب تطلق على علم التوحيد.

www. rashed. ws

المبدأ الثامن: استمداد علم التوحيد:

يستمد علم التوحيد أحكامه من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ومن فهم سلف هذه الأمة، والضابط الأخير هو رد للفهوم المخالفة لفهم سلف الأمة الصالح.

المبدأ التاسع: حكم تعلم علم التوحيد:

علم التوحيد منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، فمعرفة الإنسان بأن الله واحد ومعرفة الإنسان بأركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره المعرفة الإجمالية هذا فرض عين على الأمة جميعا، لكن تفاصيل هذا الإيمان وأدلة هذا الإيمان ليس من الأمور الواجبة، بل هو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

المبدأ العاشر: مسائل هذا العلم هذا العلم:

هذا العلم يبحث في أنواع التوحيد وأركان الإيمان الستة: الإيمان بالله وما يتفرع عنها.

هذه المبادئ العشرة مهمة جدًا في أي علم تريد أن تتعلمه، أن تقدّمه بهذه المعرفة أي: معرفة المبادئ العشرة.

المسألة الثالثة: كتاب الأصول الثلاثة:

كتاب الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- من أهم الكتب؛ لأنّه يتحدث عن معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ. وتعلمون أن من أوجب الأمور التي يجب على كل مسلم أن يعرفها هي هذه الأصول الثلاثة، وبها النجاة في الدنيا والبرزخ، فحينما يُدخل العبد في قبره يأتيه الملكان يسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإن أجاب نجا بإذن الله عز وجل، وإن لم يجب يكون هلاكه والعياذ بالله.

ألف الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- هذا الكتاب قبل وصوله إلى الدرعية، وذلك أثناء بقائه في العيينة، وقد بدأه الإمام -رحمه الله- قبل أن يتحدث عن الأصول الثلاثة بمقدمتين:

المقدمة الأولى: تشمل على أربع مسائل وذكر أنه يجب علينا تعلمها.

والمقدمة الثانية: تحدث فيها عن ثلاث مسائل وهي من العلم الواجب تعلمه.

بعد ذلك بدأ -رحمه الله- في الحديث عن الأصول الثلاثة، وجعلها على صيغة سؤال وجواب؛ لأنّها كانت تقدم للمبتدئين في طلب العلم ولعامة الناس.

هناك رسائل أخرى للإمام قريبة من هذا الاسم، وهي: (الثلاثة الأصول التي يجب على العباد معرفتها) وغيرها، ولكن المتن المشهور والمعروف هو الذي بين أيديكم والذي سنشرحه بإذن الله عز وجل. وهذا الكتاب في غاية الأهمية، ومن المهم أن نحرص جميعًا على حفظه وتعلمه وتعليمه للناس.

ولعلنا الآن نبدأ في قراءة المتن ثم بعد ذلك نعلق على بعض ما فيه من مسائل.

الدرس الأول

قال المصنف -رحمه الله-:

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

(الأولى) العلم وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الثانية) العمل به.

(الثالثة) الدعوة إليه.

(الرابعة) الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ③﴾ العصر: ١ – ٣.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: (باب: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ⑲﴾ محمد: ١٩، فبدأ بالعلم قبل القول والعلم).

قال الشارح -حفظه الله-:

بدأ المصنف -رحمه الله- رسالته بالبسملة: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).

وفيها مسائل:

المسألة الأولى:

ابتدأ -رحمه الله- بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) لأسباب منها:

أولاً: اقتداءً بكتاب الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: تأسيًا بالنبي ﷺ فقد كان من عادة النبي ﷺ أنه إذا كتب كتابًا أن يصدِّر هذا الكتاب بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، ومن ذلك رسائله التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء، فقد كان النبي ﷺ يبدأ فيها بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، أيضًا في الصلح الذي كتب بين النبي ﷺ وبين المشركين والمسمى بصلح الحديبية كان بدايته أن النبي ﷺ قال لهم: **(اكتبوا**

بسم الله الرحمن الرحيم)، فقالوا: يا محمد، أما الرحمن الرحيم فلا نعرفه لكن الله نعرفه، فكتبوا: بسمك اللهم.

المسألة الثانية:

ذكرنا في المسألة السابقة أن سنة النبي ﷺ أن يبدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، لكن كان من سنته إذا تحدث أن يحمد الله سبحانه وتعالى، ففي الحديث عند سنن الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يعلمنا خطبة الحاجة كما يعلمنا السورة من القرآن: **(إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)**.

فالسنة إذا أردت أن تكتب أن تبدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، والسنة إذا أردت أن تتحدث أن تبدأ بالحمد لله كما ذكرنا في حديث خطبة الحاجة الذي رواه الترمذي.

المسألة الثالثة:

من الأحاديث التي تروى في البدء بالبسملة قول النبي ﷺ: **(كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر)**، وهذا الحديث ضعيف جدًا.

وهناك حديث آخر وهو قول النبي ﷺ: **(كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع)**[(١)]، وهذا الحديث حسنه بعض أهل العلم، لكن الأكثر على أنه ضعيف.

وقد خرّج العلامة الألباني -رحمه الله تعالى- في مقدمة كتابة (إرواء الغليل) هذين الحديثين وبين ضعفهما وأنه لا يصح الاستدلال بهما، لكن ليس معنى هذا أنه لا يبدأ بهما، فقد بينا أن السنة أن نبدأ بهما اقتداءً بكتاب الله واقتداءً بسنة النبي ﷺ في مراسلاته.

قال المصنف -رحمه الله-:

(اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ).

قال الشارح -حفظه الله-:

قوله: (اعلم):

العلم هو إدراك الشيء على ما هو علية إدراكا جازمًا.

ففيه ثلاثة أمور:

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٦/ ١٢٧)، سنن ابن ماجه في خطبة النكاح (٦ / ٥).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

الأول: إدراك الشيء.

الثاني: أن تدركه على ما هو عليه.

ثالثًا: أن يكون الإدراك جازما معه دليل وقناعة.

هذا هو العلم.

ونقيضه الجهل، وهو نوعان:

النوع الأول: الجهل البسيط، وهو أن لا تعرف الشيء.

النوع الثاني: الجهل المركب، وهو أن تعرف الشيء على خلاف ما هو عليه، فتقول مثلاً: إن الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- ولد في القرن العشرين. هذا هو الجهل المركب.

ويروون في ذلك بيتا من الشعر، قال حمار الحكيم توما:

لو أنصف الدهر(١) كنت أركب   لأني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

قوله: (رَحِمَكَ اللهُ):

من عادة الإمام -رحمه الله- أن يصدّر بعض كتبه بهذه الكلمة: (اعلم رحمك الله)، (اعلم أرشدك الله لطاعته)، وهذا ملحظ هام؛ لأنّ العلم يبنى على الرحمة، رحمة العالم في تقديم العلم للمتعلم، ورحمه المتعلم في تعلمه؛ فلذا يجب أن يكون العلم مبناه على الرحمة، من أجل أيضًا أن يكون تبليغه فيما بعد مبنيا على الرحمة.

والإمام محمد بن عبد الوهاب يروي الحديث المسلسل بالأولية، والمقصود بالحديث المسلسل بالأولية أنه يقول: حدثني فلان وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني فلان وهو أول حديث سمعته منه، وهذا الحديث هو قول النبي ﷺ: **(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)**(٢).

قوله رحمه الله: (الأُولَى: الْعِلْمُ):

قال قبلها: (إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ)، وهذا يدل على أنّ هذا العلم الذي سيبينه -رحمه الله- هو من فروض الأعيان، والعلم كما هو معلوم على نوعين:

---

(١) بعض العلماء لهم ملحظ على هذه العبارة: (لو أنصف الدهر).

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٣٢٣) وأبو داود (٢/ ٧٠٣) لكن من غير التسلسل بالأولية.

الأول: فرض عين، وهو الذي يجب علينا جميعا أن نتعلمه، إذا أردت أن تصلي يجب عليك أن تتعلم أحكام الصلاة، وإذا أردت أن تصوم يجب عليك أن تتعلم أحكام الصيام، وإذا أردت أن تحج يجب عليك تتعلم أحكام الحج، الذي لديه زكاة يجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة؛ ولهذا يقول النبي ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[(١)]، وفي رواية: **(ومسلمة)**، ومن ذلك توحيد الله سبحانه وتعالى.

الثاني: فرض كفاية، وهو الذي إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

قوله: (أَرْبَع مَسَائِلَ):

هذه المسائل الأربع ذكرها ابن القيم -رحمه الله- في كتاب (الرسالة التبوكية)، حيث قال: (واعلم أنه قد انحصر الكمال البشري في أربع مسائل: الأولى العلم، الثانية العمل، الثالثة الدعوة إليه، الرابعة الصبر على الأذى فيه).

قوله: (الأولى: العلم وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة):

هذا بيان للعلم الواجب تعلمه، والذي من أجله ألف -رحمه الله- هذه الرسالة (الأصول الثلاثة). وبيان هذا يكون من خلال مسائل:

المسألة الأولى: فضل العلم:

العلم فضله عظيم وشرفه كبير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ الزمر: ٩، وأهل العلم هم أهل الخشية كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨، وهم خير البرية كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ البينة: ٧.

وقال ﷺ: **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)**[(٢)].

---

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٨١).

(٢) سنن أبي داود (٣/ ٣٥٤).

والعلوم يكون شرفها بشرف متعلّقها؛ ولذا كان علم التوحيد أشرف العلوم لأنه يتعلق بالله سبحانه وتعالى.

المسألة الثانية: بيان العلم الواجب:

نوع العلم الواجب الذي من أجله ألف الشيخ هذه الرسالة، بينه رحمه الله بقوله: (وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ).

وسيأتي تفصيل هذه الأصول الثلاثة في موطنها إن شاء الله.

قوله: (الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ):

هذه المسألة الثانية التي يجب علينا أن نتعلمها، وهو أنه يجب أن نعمل بالعلم في حياتنا، وهذا الذي كان من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كانوا يسمعون الأمر من النبي ﷺ فيأتمرون، ويسمعون النهي فينزجرون، وهم يطبقون في ذلك قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤.

والاستجابة تكون أول ما تكون في أن نعمل بهذا العلم في حياتنا، والشيخ بيّن أن هذا العلم هو معرفة الله ومعرفة دينه ومعرفة نبيه، فأول أمر تقوم به بعد هذه المعرفة وبعد هذا العلم أن تعمل به في حياتك.

وقد بين لنا النبي ﷺ خطورة عدم العمل بالعلم بقوله: (**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**)(١).

وللعمل بالعلم ثمرات، منها ثبات العلم في القلب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧.

قوله: (الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ):

هذه المسألة الثالثة: الدعوة إليه: أنت علمت وعملت فلا يقف هذا الأمر هنا، بل يجب عليك أن تدعو الناس إلى دين الله، وأعظم أمر تدعو الناس إليه دعوتهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ٢٢٤).

مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فصلت: ٣٣، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨، وقد حذرنا النبي ﷺ من كتمان العلم بقوله: **(من كتم علما يعلمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار)**[١]، والعياذ بالله.

قوله: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ):

الداعي إلى دين الله وخاصة توحيده عز وجل سيصادم شهوات الناس وشبهاتهم ورغباتهم ومصالحهم، وسيجد من بعضهم الصدود والاستكبار عن قبول الحق؛ ولهذا فإن الداعي إلى الله سبحانه وتعالى يجب أن يستصحب الصبر في حياته، أن يكون صابرًا في طلبه للعلم، أن يكون صابرًا في عمله بالعلم، أن يكون صابرًا في دعوته إلى هذا العلم، وأن يكون صابرًا فيما يناله من أذى، فنبينا ﷺ ناله من الأذى الشيء الكثير، أوذي في جسده، وأوذي في عرضه، ووضع سلا الجزور على ظهره، أُبعد من أرضه وطرد من بين أهله، وبُزق عليه، وغير ذلك من الابتلاءات التي حدثت للنبي ﷺ وهو صابر ومحتسب.

والصبر الذي يؤمر به الناس على ثلاثة أقسام:

١- الصبر على طاعة الله، فأنت إذا أردت أن تؤدي أوامر الله فيجب عليك أن تصبر.

٢- الصبر عن معصية الله، حينما يهم الإنسان بفعل المعصية يجب أن يتحلى بالصبر حتى لا يقع فيها.

٣- الصبر على أقدار الله، فالداعي إلى الله بحاجة ماسّة إلى أن يتحلى بالصبر حتى ينجو بحياته ويسعد في آخرته بإذن الله عز وجل.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ سورة العصر.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ):

من الأمور العظيمة التي يرشدك إليها هذا الكتاب أن تتعلم كل شيء مع دليله، فإذا تعلمت مسألة فلا بد أن تتعلم دليلها، وهذا الذي يجب على طالب العلم أن يعتاد عليه؛ أن يأخذ المعلومة وأن يعرف دليلها من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله ﷺ.

---

(١) المعجم الكبير (١١/ ٥).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

هنا استدل المصنف -رحمه الله- على هذه المسائل الأربعة بقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.

هذه السورة من أعظم سور القرآن حتى قال عنها الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ).

هذه السورة بدأها الله عز وجل بقوله: " (وَالْعَصْرِ)، والعصر هنا قسم من الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله عز وجل، قال ﷺ: **(من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)**[(١)]. والعصر يراد به إما وقت صلاة العصر كما قيل، أو وقت العشي، أو أن المراد به هو الدهر أو الزمن، ولعل هذا هو الراجح.

قال: (وَالْعَصْرِ)، هذا القسم، فما جوابه؟ أي: على ماذا أقسم الله عز وجل؟

جواب القسم: قوله تعالى: (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ).

قوله: (إِنَّ الإِنسَانَ) الألف واللام في الإنسان للجنس، أي: جنس الناس في خسارة، وهنا ثلاثة مؤكدات كما يبين علماء المعاني، وهي:

١- القسم وهو من المؤكدات.

٢- التأكيد بـ(إنَّ).

٣- التأكيد بـ(اللام).

هذه ثلاثة مؤكدات تؤكد أن جنس الإنسان في خسارة، وقد استثنى الله عز وجل منهم من اتصف بأربع صفات:

الأولى: (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)، والإيمان كما سيأتي بإذن الله هو قول واعتقاد وعمل، والاعتقاد: هو العلم.

الثاني: (وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)، إذا قلنا: إن الإيمان هو قول واعتقاد وعمل فلماذا عطف العمل الصالح على الإيمان؟! قال العلماء: العطف هنا من باب عطف الخاص على العام، ولهذا فائدة، وهي لمزيد التأكيد ودليل على أن أهميته لا تقل عن أهمية العام الذي عطف عليه.

---

(١) صحيح البخاري: باب كيف يستحلف؟ (٢/ ٩٥١).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

الثالث والرابع: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، قال بعض العلماء: الحق هنا هو كتاب لله عز وجل، ومعنى ذلك أنهم يتواصون بالتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ أي: تواصوا بالصبر على طاعة الله، وبالصبر على دعوتهم لله سبحانه وتعالى.

فهذه السورة العظيمة مع قصر آياتها لكن معانيها كبيرة؛ ولذا قال عنها الإمام الشافعي رحمه الله: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ).

قوله: (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ محمد: ١٩، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ):

هذا الباب ترجم به رواه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه (الجامع الصحيح المسند المختصر من سنن رسول الله ﷺ وأيامه وأقواله) والمعروف بصحيح البخاري، قال: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

فقبل أن تعمل شيئا يجب أن تتعلم، وقد استدل الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، استغفار الذنب أتى بعد معرفته وبعد علمه بلا إله إلا الله.

هذه هي المسائل الأربع التي بينها الشيخ رحمه الله تعالى، والتي قال بأنّه يجب علينا أن نتعلمها، والحاجة إليها ماسة كما تقدم، فلا نستطيع أن ندعو الناس إليها ولا أن نعمل بالعلم ولا أن نُعلّم إلا إذا أدركنا هذه الأمور الأربعة، وهي زاد لكل داعية إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد تقدم أن الإمام -رحمه الله- قبل أن يشرع في الأصول الثلاثة قدم بمقدمتين: المقدمة الأولى فيها أربع مسائل التي ذكرناها، والمقدمة الثانية فيها ثلاث.

www. rashed. ws

الدرس الثاني

قال المصنف -رحمه الله-:

(اعلم -رحمك الله- أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن:

(الأولى) أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ المزمل: ١٥-١٦.

(الثانية) أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن: ١٨.

(الثالثة) أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ المجادلة: ٢٢).

قوله: (اعْلَمْ رَحِمَكَ الله):

بينا في أول الكتاب ما يتعلق بهذه الجملة، وفائدة البدء بها، وتحدثنا عن الحديث المسلسل بالأولية، والذي كان العلماء يُورِدُونه وهو قول النبي ﷺ: **(الراحمون يرحمهم الرحمن)**[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه.

وحتى يعلم الطالب ويعلم العالم ويعلم المتعلم والداعي والمدعو أن هذا الدين قد بُني على الرحمة؛ الرحمة في تعليم العلم، والرحمة في تعلمه، والرحمة في دعوة الناس إليه، وحينما يستشعر طالب العلم والعالم والداعية هذا المعنى فسيكون له أثر كبير في دعوته وفي تعامله مع الخلق جميعًا.

قوله: (أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ):

سبق بيان ذلك، وأن العلم منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية. وهذه العلوم التي ندرسها في هذا الكتاب هي من فروض الأعيان التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها.

وأضاف هنا: (وأن يعمل بهن) من أجل أن يؤكد لك المعاني الأربعة التي سبقت، وهي أنه لا بد من العلم والعمل والدعوة والصبر على الأذى فيه.

قوله: (الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾﴾ المزمل: ١٥-١٦).

هذه المسألة الأولى التي ذكر الشيخ -رحمه الله- أنه يجب علينا أن نتعلمها، وهذه المسألة يندرج تحتها مسائل.

أولاً: قوله: (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا): فالخالق هو الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف: ٥٤، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فاطر: ٣. فالخلق لله سبحانه وتعالى.

وهنا مسألة في غاية الأهمية، وخاصة في هذا الزمان، وكان الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله- يؤكد عليها، وهي أن على طالب العلم أن يحرص في هذا الزمان على الأدلة العقلية والأدلة النقلية، السمع والعقل، فالسمع هو: الدليل من نصوص القرآن والسنة، وكذلك دلاله العقل لأننا في هذا العالم المنفتح نلتقي بأُناس قد لا يؤمنون بالله عز وجل، بل وللأسف بدأت شبههم تروج على بعض أبنائنا وإخواننا، فالتبست عليهم بعض المسائل؛ ولذا لا تستغرب أن يأتيك أحد الشباب وقد يكون نشأ في

أسرة طيبة وأسرة صالحة ويقول لك: أنا عندي إشكالية في وجود الله عز وجل، أو في أن الله هو الخالق أو أن الله هو الرازق، كنا نُقرر هذه المسائل سابقًا من أجل أن تكون سلاحًا لنا في المستقبل، لكن الآن مع وجود وسائل الاتصال المختلفة أصبح بعض هذه الشبهات تستقر في الأذهان والعقول، وأحيانًا لا يستطيع البعض الفكاك منها ولا الإجابة عليها؛ ولهذا ابن القيم -رحمه الله تعالى- حذر تحذيرًا كبيرًا من أن تكون قلوبنا كالإسفنجة تتشرّب أي شيء، بل يجب أن يكون للإنسان تصفية لأي معلومة تأتيه، وأن يكون على اطلاع وعلى صلة وثيقة بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ.

الأدلة العقلية على أن الخالق هو الله:

من الأدلة العقلية على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى ما جاء في سورة الطور، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الطور: ٣٥، فهذه دلالة عقلية على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ هل يُعقل أن هذا الإنسان بهذا التركيب وبهذا التكوين وبهذا النظام العجيب والدقة المتناهية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في حياتنا وفي أنفسنا خلق من غير شيء؟! تأمل في وظائف جسم الإنسان، إلى الكبد، إلى الكلى، إلى غيرها، لو اختل أي توازن فيها ماذا يحدث للإنسان؟! إذن هذا الإنسان لا بد له من موجد، وكونه قد أوجدَ نفسَه يستحيل؛ لأنه كان في السابق عدمًا والعدم ليس بشيء، قال عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

ثانيًا: قوله: (أَنَّ اللهَ رَزَقَنَا): كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الذاريات: ٥٨، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل: ٥٣.

ثالثًا: قوله: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا): وهذا في غاية الأهمية، فالله عز وجل لم يخلق الناس هملاً كما يقول بعض المفسرين: لا يأمرهم ولا ينهاهم، بل خلقهم لحكمة عظيمة كما قال عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ المؤمنون: ١١٥، وأيضا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ ص: ٢٧، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ الأنبياء: ١٦.

فالله عز وجل ما خلقنا هملاً، ولم يخلقنا سدى لا نؤمر ولا ننهى، بل خلقنا لحكمة عظيمة وغاية نبيلة، أبانت عنها الآيات الأخرى.

قال -رحمه الله-: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ): هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بنا، وهو دليل على أن الله عز وجل لم يتركنا سدى، ولم يخلقنا هملاً، بل أرسل إلينا الرسل وأنزل إلينا الكتب، من أجل أن نعرف لم خلقنا؟ ولم أوجدنا الله؟ وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بنا، ونعم الله عز وجل علينا لا تُعد ولا تُحصى.

قال -رحمه الله-: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ): هنا الأمر بطاعة النبي ﷺ، وقد ورد الأمر بطاعة النبي ﷺ في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وطاعة الرسول ﷺ من أعظم الأمور التي يجب علينا أن نستجيب لها، وهي من معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وسنبيّن هذا بوضوح أكثر عند قول المؤلف -رحمه الله-: (وَمَعْرِفَةُ مُحَمدٍ ﷺ).

وقد دل أيضًا على وجوب طاعة النبي ﷺ سنته، وذلك في أحاديث كثيرة.

قال المؤلف هنا: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ المزمل: ١٥-١٦).

من منهج الشيخ -رحمه الله- الذي تميز به هو إيراد الدليل على الحكم الذي يورده، وهذا هو الواجب أن نحرص دائمًا في كل مسألة نتلقاها أو علم نأخذ به أن نبحث عن الدليل الذي يدل على هذه المسألة، وخاصة في مسائل الاعتقاد.

في هذه الآية الله عز وجل يخاطب عباده ممتنًا عليهم: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾. تأمل: الله عز وجل يخاطب عباده المؤمنين ممتنًا عليهم أنه

أرسل إليهم رسولاً، لكن هذه المنة لم تكن لهذه الأمة وحدها، بل إن الأمم السابقة قبلنا أيضًا أرسل الله عز وجل لهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، والأمة العظيمة هي التي تأخذ العظة والعبرة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾، قال المفسرون: (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا) أي: شديدا.

فكذلك هذه الأمة بعد أن منّ الله عز وجل عليها ببعثة محمد ﷺ إن لم تُطع النبي عليه الصلاة والسلام فإن الجزاء أن يأخذهم الله عز وجل أخذًا وبيلا.

قوله: (الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ الجن: ١٨).

هذه من أهم المسائل التي نحتاج إليها، وهي أن العبد يجب عليه أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، إذن غيرهم من باب أولى.

وللأسف أن بعض الناس قد اتخذوا مع الله عز وجل شركاء يعبدونهم ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله عز وجل، وحينما تتأمل في واقع أمتنا الإسلامية تجد أن هذا كثير جدًا.

هناك أقوام يعبدون مع الله عز وجل غيره، فتجد عند قبور الأولياء وعند عتبة باب الصالحين من يتقرب إليهم بأنواع القرابين من دون الله عز وجل، وحجّتهم في ذلك أنهم يريدون من هؤلاء الأولياء والصالحين أن يكونوا واسطة ووسيلة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، كما قال الله عز وجل عن غاية عبادة المشركين لأصنامهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ الزمر: ٣.

لكن هنا يقول -رحمه الله-: (لا يَرْضَى اللهُ سبحانه وتعالى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ على هذا قَوْلُهُ سبحانه وتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾).

فما وجه الشاهد؟

هذه الآية نزلت بعد أن أتى جماعة من الجن إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يأذن لهم في الصلاة في المساجد، فبيّن لهم النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يصلون في أي مكان فقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وما المراد بالمساجد في هذه الآية؟

إما أن يكون المراد بالمساجد بيوت الله، فهذه المساجد يجب أن يكون الدعاء فيها خالصًا لله سبحانه وتعالى؛ ولهذا فإنه لا يجوز أن يتخذ في هذا المساجد ما يكون وسيلة إلى عبادة غير الله عز وجل كبناء المساجد على القبور وعلى الأضرحة كما يُرى ويُلحظ في كثير من بلاد المسلمين وللأسف.

إذن المعنى الأول للمساجد أنها بيوت الله، فيجب أن تكون العبادة فيها خالصة لله عز وجل، ولا يجوز أن يصرف فيها أي نوع من أنواع العبادة لغير الله.

المعنى الثاني: أن المراد بالمساجد هنا مواضع السجود، وهي مواضع السجود السبعة التي قال النبي ﷺ فيها: **(أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم)** رواه البخاري ومسلم.

فبيوت الله عز وجل لا يجوز أن يعبد فيها غير الله، وأعضاؤنا وجوارحنا لا يجوز أيضًا أن نتقرب بها لغير الله، لا في سجودنا ولا في ركوعنا. وكلا المعنيين صحيح.

ومن هنا يؤخذ أنه لا يعبد في المساجد غير الله، ولا نتقرب إلاّ إلى الله سبحانه وتعالى، قال في هذه الآية: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

(فلا تدعوا مع الله) هذا نهي عن عبادة غير الله.

(أحدا) نكرة، يقول العلماء: إن النكرة إذا جاءت في سياق النهي فإنها تعم، فيكون المقصود هنا أي أحد، فلا يعبد مع الله أحد، لا ملك ولا رسول ولا ولي، فلا يجوز أن نصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله عز وجل.

وهنا ملحظ في غاية الأهمية: لو تقرؤون في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وتنظرون إلى طريقته في تقرير المسائل تجدون أنه -رحمه الله- يجمع بين أمرين:

الأول: التحقيق في المسألة، فإذا أتى بمسألة فإنه يبحثها في كل جوانبها، وهو من محققي أهل السنة والجماعة، وهو رأس من رؤوسهم، وهو مرجع من المراجع العظيمة التي يرجع إليها علماء أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد.

الثاني: أنّه بعد تقرير العبادة وإفرادها ووجوب صرفها لله يقرر أثر توحيد الله بهذه العبادة في حياتك.

إذا قلبتم صفحات الجزء الأول من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو من أعظم الكتب التي يُنصح بقراءتها في توحيد العبادة، فالجزء الأول خاص بتوحيد الألوهية، تجد أن الشيخ -رحمه الله- يبحث مسائل في غاية الأهمية، يبحث في مسألة إذا علمت أن الله هو الخالق وأن الله هو الرازق وأن الله هو المحيي وأن الله هو المميت وأثرها في قوة القلب، فلا بد أن يكون لها أثر في حياتك، لا نكتفي فقط أن نبيّن للناس أن التوحيد ثلاثة أنواع، والشرك ثلاثة أنواع، بل لا بد أن نبيّن أيضا للناس هذا التوحيد بأخلاقنا وأقوالنا وأفعالنا وآثاره على الفرد والمجتمع.

وأضرب لكم مثالا على هذا: لو أن شخصًا احتمى بملك من ملوك الأرض من شخص يريد أن يعتدي عليه فقال له هذا الملك: إنك في أمان وفي حفظ ولن يصل إليك سوء، وإن وصل إليك سوء فسيَصِلُني أنا. كيف تتوقع أن يكون قلب هذا الرجل؟! لا شك أنه سيكون في طمأنينة وفي راحة وفي انشراح، إن لم تكن قلوبنا ونحن نعتمد على الله ونتوكل على الله ونلجأ إلى الله ونخاف من الله ونرغب فيما عند الله، إن لم تكن قلوبنا في أمان وفي راحة أكثر من راحة هذا الرجل لتوكلنا على الله سبحانه وتعالى رب العبيد ورب الملوك سبحانه وتعالى فإن في توحيدنا خللاً؛ لأننا إذا علمنا التوحيد يجب أن نعلم عظمة الله وقوته وقدرته سبحانه وتعالى، ومن كان مع الله كانت معه الفئة التي لا تهزم ولا تغلب أبدًا. فنحن بحاجة إلى أن نستشعر هذه المعاني العظيمة.

شيخ الإسلام أيضا قرر مسألة الفقر، فقر العبد إلى ربه سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فاطر: ١٥، مهما اغتنى هذا الشخص ومهما كان لديه من الأموال ومن الجاه ومن المناصب والقصور فإنه لا غنى له أبدًا عن فقره إلى الله سبحانه وتعالى، بل إن هذا الفقر يشعره بالأمان ويُشعره بالراحة ويُشعره بالطمأنينة وبالاستقرار.

ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابة (طريق الهجرتين) أفاض في هذه المسألة كثيرًا، ونقل عن شيخ الإسلام أيضًا مسائل عديدة في هذا الأمر ومن ذلك قوله: (كان شيخ

الإسلام -رحمه الله- يذهب إلى المناطق النائية والبعيدة، ويعفر وجهه في التراب ويقول: أنا المُكدّي وابن المُكدّي، وكذا كان أبي وجدي).

لا بد أن يستشعر العبد هذا الفقر وهذا الذل وهذا الخضوع وهذا الانقياد في قلبه حتى يستشعر معاني التوحيد والإيمان بالله عز وجل.

صحابه النبي ﷺ لم يكونوا يفرقون حينما ترد عليهم المسائل -كما ذكرنا لكم سابقًا- بين العقائد والشرائع، بل كانوا يأخذون هذا العلم وينفذونه ويجعلونه واقعًا عمليًا في حياتهم، فإذا بقلوبهم تُزهر بالإيمان وأرواحهم تسعد بالقرآن ويقدمون أنموذجا حقًا للعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ.

قال -رحمه الله-: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ المجادلة: ٢٢).

الولاء والبراء:

هذه المسألة الثالثة التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- أنّه يجب علينا أن نتعلمها وأن نعمل بها وهي مسألة الولاء والبراء، وهذه المسألة من المسائل العظيمة التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي من المسائل التي سبب الجهل بها وعدم استيعاب أقوال العلماء فيها ومعرفتها حق المعرفة فتنا كبيرة في عالمنا، وخاصة ما شهدناه في الفترة الأخيرة من اضطراب في فهم مدلول مسائل الولاء والبراء، فهناك من غلا، وهناك من جفا، فهناك من يريد أن يطمس ويتمنى أن يطمس أي دعوة إلى الولاء والبراء من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، ويذكروننا بقول جهم بن صفوان؛ لأنه كان ينكر استواء الله على عرشه، فحار بسبب الآيات التي وردت في استواء الله عز وجل على عرشه، فقال: (لوددت لو أني حككتها من المصحف وأزلتها)؛ لأنها كانت تسبب له لبسًا كبيرا في البدعة التي

أصّلها، ولأنه لم يجد لها جوابًا. فبعض الناس اليوم يريدون أن يطمسوا معالم الولاء والبراء في حياة المسلمين.

ونقول لهم: على رسلكم، فإنه ما من عقيدة من العقائد وما من أمة من الأمم وما من ملة من الملل، بل لا يوجد جماعة من الجماعات إلا ولها هذه العقيدة، فلها ولاء لمن انضم تحت عقيدتها، ولها براء ممن تبرأ من هذه العقيدة. هذا جانب.

أيضًا في الجانب الآخر هناك قوم غلوا في مفهوم الولاء والبراء، وكان لهذا الغلو آثار عكسية على الأمة وعلى الأفراد وعلى المجتمعات، ولعلنا من خلال المسائل الست التي سنقدمها في هذا المبحث نُجَلي الصورة فيما يتعلق بمسائل الولاء والبراء.

المسألة الأولى: معنى الولاء والبراء لغة واصطلاحًا:

الولاء في اللغة: من الولاية، وهي المحبة والقرب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: أصل الولاية من المحبة والقرب، وأصل البراء من البغض والبعد، وإنما سُمي الولي وليًا من توالي الطاعات وتتابعها.

إذن المدلول الأول في مفهومنا لمعنى الولاء والبراء: أن الولاء هو المحبة والقرب والنصرة.

ومفهوم البراء: هو البعد والبغض، كما يطلق في اللغة على خلوص الشيء عن غيره، فكما أنه تبرؤٌ من الشرك وأهله فإنه تخلّص منهم.

أما من حيث الاصطلاح: فالولاء والبراء يُفهم في الاصطلاح بحسب متعلّقة، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فيكون الولاء والبراء: محبة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصرة ومحبة أهلها والقرب منهم، والتبرؤ ممن ينكر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والبعد عنهم، فإذن هي قرب من هذه الكلمة وأهلها، وبعد ممن عادى هذه الكلمة وأهلها.

المسألة الثانية: ما مكانة الولاء والبراء في الدين؟

يتبين لنا مكانة الولاء والبراء من خلال التالي:

١- الولاء والبراء من مسائل الاعتقاد العظيمة التي قررها أهل السنة والجماعة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الممتحنة: ٤، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ المائدة: ٥١، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ الممتحنة: ١، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران: ٢٨.

٢- أنها مرتبطة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فيها النفي والإثبات: الإثبات لهذه الكلمة ومحبتها ومحبة أهلها، وكذلك النفي لما يُضاد هذه الكلمة والتبرؤ من الذين يبغضون هذه الكلمة.

٣- أنها شرط للإيمان الصحيح، قال سبحانه وتعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)﴾ المائدة: ٨٠، وقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ المائدة: ٨١، (لو) شرطية، إذا أتى الشرط فإنه يُحكم به، وإذا انتفى فإنه يُحكم بانتفائه.

٤- ورد عن النبي ﷺ ما يبين مكانة الولاء والبراء، حيث قال: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)**(١).

وورد في بعض الأحاديث أن أحب الأعمال إلى الله محبة الله ورسوله.

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٤)، ومسلم (١/ ٦٦).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

وورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: **(أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)**[١].

فهذه بعض الأدلة، والقرآن وسنة الرسول ﷺ مليئان بنصوص كثيرة تدل على أهمية هذه العقيدة عقيدة الولاء والبراء.

المسألة الثالثة: أقسام الناس في الولاء والبراء:

القسم الأول: من يُتَولونَ ولاءً خالصًا ليس معه بغض ولا براء.

وهم صحابة رسول الله ﷺ، فهؤلاء نتولاهم جميعًا، ونحبهم جميعًا، ولا نتبرأ من أحد منهم أبدًا، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾**﴾ الحشر: ١٠، فهؤلاء يتولون ولاءً خالصًا ليس معه براء.

القسم الثاني: الذين يُتَبرأ منهم تبرؤًا كاملاً ليس معه ولاء، وهم المشركون والمعادون لله ولرسوله ﷺ، قال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾**﴾ المائدة: ٥١.

القسم الثالث: من يُتولى من وجه ويُتبرأ منه من وجه آخر، وهم عصاة المؤمنين أو من يُسمّى بالفاسق الملّي، فهو يوالى لما عنده من الخير والإيمان، ونتبرأ منه لما فيه من الكفر والفسوق والعصيان، فهؤلاء يوالون من وجه ويتبرأ منهم من وجه آخر.

المسألة الرابعة: مناط التكفير في مسألة الولاء والبراء:

كيف أعرف أن هذا خرج من الإسلام بولائه لغير المسلمين؟ وكيف أعرف أنه خرج من الإسلام بتبرئه من المؤمنين؟

هذه مسألة في غاية الأهمية: وهي ما مناط التكفير في الولاء والبراء؟ وحتى نفقه هذا المناط فإنه لا بد أن نستحضر معنى الولاء والبراء، وهو المحبة والنصرة في الولاء، والبغض والعداء في البراء. ومن المعلوم أن هذه جميعًا أعمال قلبية، فالحكم فيها مناطه عمل القلب، ولذا تجد أن بعض العلماء إذا قيل له: عرّف المحبة مثلاً، يقول: إن المحبة لا نستطيع أن نعرفها بحدٍ واضح وإنما نستطيع أن نبيّن آثارها. لماذا؟ لأن المحبة عمل قلبي، أنت لا

---

(١) مسند ابن أبي شيبة (١/ ٢١٨).

العناوين الرئيسية — المتن — المسائل

www. rashed. ws

تستطيع أن ترسمه وتحده بشكل واضح، لكنك تبين معناه القلبي من خلال آثاره التي تشعر بها.

وقد قرر ابن القيم -رحمه الله- في (شفاء العليل) هذه المسألة وقال: إن مناط التكفير في الولاء والبراء هو لعمل القلب. لكن شيخ الإسلام -رحمه الله- قال في (اقتضاء الصراط المستقيم): وإن كان مناط التكفير هو عمل القلب لكن لا بد أن يظهر على جوارح الإنسان.

فلا بد أن يؤكّد هذا العمل القلبي بعمل الجوارح، فإذا أتينا إلى شخص وقد والى المشركين بقلبه ووالاهم بجوارحه فهذا نحكم بكفره لدلالة القرآن والسنة عليه.

لكن لو تباين عمل الجوارح مع عمل القلب فإن الحكم يتبع ماذا؟ قرّر أهل العلم أن الحكم يكون لعمل القلب، فيكون صاحبه عاصيًا.

مثال ذلك: أن يكون في قرارة نفسه كارهًا للكفر وللمشركين غير راغب في نصرتهم ونهضتهم وقوتهم، ولكن بسبب طمعٍ دنيوي والاهم ظاهرًا وليس باطنًا، فهنا لا يحكم بكفره.

ودليل هذا ما حدث للصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة فإنّه أرسل إلى المشركين في مكة يخبرهم بنية النبي ﷺ غزوَهم، وهذا في ظاهره أنه تعاون ونصرة للمشركينَ على المسلمين، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه، قال النبي ﷺ -وهنا يأتي الاستفصال-: **(ما الذي حملك على هذا يا حاطب؟)** فقال: والله، ما بي إلا أني أحب الله ورسوله، ولكن أردت أن يكون لي يدٌ عند القوم أمنع بها أهلي ومالي لديهم، فقال النبي ﷺ: **(وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم)**[(١)].

فدلّ هذا على أن هذا خطأ وأنه وقع فيه، لكن لأجل أنه من أهل بدرٍ فقد غفر الله عز وجل له هذا الخلل وهذا الخطأ الذي وقع منه رضي الله عنه.

أيضًا يدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال في أول سورة الممتحنة: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ**

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠٩٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٨).

﴿وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ الممتحنة: ١.

فهذه الآية مطلعها نداء باسم الإيمان، فدل على أن المناط في التكفير هو عمل القلب وليس عمل الجوارح.

وليس معنى هذا أن الإنسان يجوز له أن يوالي المشركين وأن يناصرهم، وإنما نحن الآن نتحدث عن الكفر والتكفير، والسبب في ذلك أننا لا نستطيع أن نخرج شخصًا من الإسلام إلا بنفس اليقين الذي ما أدخلناه به في الإسلام، وهذا من أعظم الأمور التي يجب علينا أن نحرص عليها.

المسألة الخامسة: أقسام الموالاة:

الموالاة نوعان:

النوع الأول: التولي: وهو تولي المشركين والكفار ومحبتهم ونصرتهم وطمأنينة القلب لهم وإعانتهم، فإن هذا من الكفر بالله عز وجل، وهو التولي الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١.

النوع الثاني: الموالاة: والموالاة محرمه ولكنّها غير مكفرة، قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ الممتحنة: ١. فهذه الموالاة محرمة وليست مكفرة كما تقدم في بيان ذلك قبل قليل.

المسألة السادسة: أعمال لا تنافي الولاء والبراء:

هناك بعض الأمور لا تنافي مسألة الولاء والبراء، من هذه الأمور:

١- الإحسان إلى الكفار، يقول الله عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ الممتحنة: ٨، فهذه كلها ليست أعمال قلب، وإنما هي أعمال جوارح، وهي لا تنافي قضية الولاء والبراء.

أيضا النبي ﷺ الذي علمنا الولاء والبراء كان له جار يهودي، وكان يزوره ويدعوه إلى الله سبحانه وتعالى ويتعامل معه بالأسلوب الحسن والأمثل؛ من أجل أن يدعوه إلى الإسلام، وبالفعل كان له الأثر العظيم في إسلامه.

www. rashed. ws

٢- وضع التعاقدات والتحالفات التي تقيمها الدول المسلمة مع الدول الكافرة أيضًا لا يناقض الولاء والبراء، بل حتى وإن كان فيها أحيانا إجحاف لحق المسلمين إذا كان بالمسلمين ضعف فإنها جائزة، ودليل ذلك ما فعله النبي ﷺ مع المشركين في صلح الحديبية، فقد كانت ظاهر بنود الصلح ليست في صالح المسلمين، لكن كان بعده بناء لهذه الأمة ونهضة، ثم بعد ذلك استطاع النبي ﷺ أن ينتصر عليهم.

فالتحالفات والتعاقدات مع الكفار كل هذا من الأمور الجائزة التي لا تدخل في أمر محرم ولا في معصية، بل تدخل في أمرٍ قد أباحة الله عز وجل، وهذا مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ بعد أن قال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ آل عمران: ٢٨. قال العلماء: يعني ما يحدث من التحالف والعقود التي تكون بين المسلمين والكافرين.

٣- في عهد النبي ﷺ كان للأمة قائد واحد، كذلك في عهد الخلفاء الراشدين، يتحدث باسمهم، الآن وفي ظل انقسام الدول الإسلامية أصبح لكل دولة تحالفاتها وعهودها ومواثيقها الخاصة، ودليل ذلك قصة أبو بصير حينما أتى إلى النبي ﷺ وهو في صلح مع المشركين، فلم يستقبله النبي ﷺ بسبب الصلح الذي تم، فقام أبو بصير في قتال المشركين لأنه لم يكن في الصلح الذي وقّعه النبي ﷺ بينه وبين المشركين.

ونؤكد مع بيان هذا الحكم الشرعي أن على الأمة الإسلامية أيضًا أن تقوى وأن تنهض وأن لا تستكين؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ الأنفال: ٦٠.

٤- المحبة الطبيعية، كمحبة الإنسان لزوجته، ومحبته لأبنائه، فالإنسان المؤمن إذا كان تحته نصرانية فمحبته لها لأجل أنها زوجته وليس لدينها جائز بلا خلاف بين أهل العلم.

وهذا بخلاف المحبة الدينية، فهذه لا تجوز إلا لمن أطاع الله ورسوله ولمن شهد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

هذه أهم المسائل التي تتعلق بمبدأ الولاء والبراء.

والمصنف هنا -رحمه الله- استشهد بقول الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ

عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢.

قال ابن كثير -رحمه الله-: نزلت هذه الآية ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته. وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ في الصديق هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، فالله أعلم.

إذن الأصل أن ولاءنا لهذه الكلمة العظيمة ولمن آمن بها ولو كان في أقصى أصقاع الأرض، وبراؤنا ممن تبرأ من هذه الكلمة ولو كان أقرب قريب، كما دلت على ذلك هذه الآية العظيمة.

يتضح مما تقدم أهمية عقيدة الولاء والبراء، وأهمية التفصيل ومعرفة الأحكام الشرعية فيها؛ حتى يكون ولاؤنا وبراؤُنا مبنيًا على أصول شرعية ومقاصد مرعيّة، ونحقق بذلك الوسطية التي تميزت بها هذه الأمة العظيمة. وكما تعلمون أن هذه الأمة المرحومة هي أمة الوسط، فهي وسط بين الأمم جميعًا، وهي وسط بين الفرق التي خرجت في هذه الأمة، خرجت فرقة الخوارج فأعقبها المرجئة، وأهل السنة وسط بينهم، خرجت القدرية فأعقبها الجبرية، وأهل السنة والجماعة وسط بينهم.

الدرس الثالث

قال المصنف -رحمه الله-:

(اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ الذاريات: ٥٦).

(وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ النساء: ٣٦، فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدا ﷺ. فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ٢﴾ الفاتحة: ٢، وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم).

قوله -رحمه الله-: (اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ):

قال الشارح -حفظه الله-:

هذا أيضًا دعاء من المؤلف لطالب العلم ليؤكد هذا المعنى العظيم، وهو دعاء العالم للمتعلم وحرصه عليه، وحينما يستمع المتعلم لهذه الدعوات من العالم فإنها تكون محفزة ودافعة له أن يبذل في العلم والعمل ويجتهد في طاعة الله وأن يجتهد في هذا العلم الشرعي.

قوله: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ):

فيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الحنيفية لغة واصطلاحًا:

الحنيفية في اللغة: الحنف الميل في القدم، ويقال: رجل حُنَفاء ورجل حنيف، ومنه سمي الأحنف بن قيس لحنف في رجله، تقول حاضنته:

والله لولا حنف برجله ... ما كان في فتيانكم كمثله

وتنسب إليه السيوف الحنفية.

إذًا فالحنيف هو المائل.

العناوين الرئيسية ■ المتن ■ المسائل ■

وكانت تطلق هذه الكلمة (الحنيف) قبل بعثة النبي ﷺ على بعض العرب الذين كانوا على دين إبراهيم عليه السلام، والذين كانوا يحجون إلى البيت ولا يعبدون الأصنام ويختتنون ولا يقتلون الموءودة، وكان من بين هؤلاء زيد بن عمرو بن نُفيل.

كان زيد بن عمرو يطوف بين الناس ويقول لهم -وذلك قبل بعثة النبي ﷺ-: (والله ما على وجه الأرض رجل على دين إبراهيم إلا أنا). وكان ينهى عن الذبح على غير اسم الله، وينهى عن قتل الموءودة، فيأتي إلى ربها ووالدها ويقول له: ادفعها إليّ أنا أكفيك مؤونتها، فإذا كبرت دفعها إلى والدها وقال: إن شئتَ أن تبقى معك وإن شئتَ أكفيك مؤونتها.

وكان أيضًا كما يروى عنه أنه كان يبحث دينًا غير الدين الذي اعتاد عليه أهله، فذهب يبحث عن ذلك فوجد رجلاً يهوديًا فقال: أريد أن أكون يهوديًا، فقال له: لن تستطيع حتى يصيبك غضبٌ من الله، فقال: سبحان الله! وهل أفرُّ إلا من غضب الله؟! لا حاجة لي في دينك، هل من دين آخر؟ قال: لا إلا أن تكون حنيفًا، قال: وما حنيف؟ قال: دين إبراهيم ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا، فسار فوجد رجلاً نصرانيًا فقال له: أريد أن أتنصّر، قال: لا تستطيع إلا أن تصيبك اللعنة من الله، قال: وهل أفرُّ إلا من لعنة الله؟! قال: هل من دين آخر، قال: لا أعرف إلا أن تكون حنيفيًّا، قال: وما حنيف؟ قال: دين إبراهيم ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا، فخرج وهو يقول: اللهم إني أُشهدك أني على دين إبراهيم حنيفًا.

إذن هذا المصطلح له استعمال في اللغة، وله استعمال أيضًا قبل بعثة النبي ﷺ يختص به بعض الرجال كزيد بن عمرو وكغيره.

حينما نقول: الحنيف هو المائل، فكيف يكون أسلوب مدح وثناء وهو أيضًا في أصله من حنف القدمين؟!

قال الطاهر بن عاشور -رحمه الله تعالى- وإنما كان الحنف ثناءً ومدحًا بالغلبة، والسبب في ذلك أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا على غير عبادة الله جميعًا، فمال عنهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الديّان، فسمي المائل عن الشر إلى الخير حنيفًا، فسمي بذلك للغلبة.

وهو مثل قولهم عن المهلكة: المفازة من الفوز والنجاة، ويقال للرجل المريض: الصحيح، ويقال للرجل اللديغ: السليم. فهو اسم أُخذ بالغلبة وأصبح لقبا وثناءً ومدحا لمن اتصف بالحنيفيّة وهي ملة إبراهيم ﷺ.

وأما في الاصطلاح فقد فسرها هنا فقال: هي ملة إبراهيم، ثم فسرها وأوضحها إيضاحًا أكبر فقال: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).

المسألة الثانية: الحنيفيّة وردت في القرآن في اثني عشر موضعًا:

عشرة منها ورد فيها بأسلوب المفرد، وفي موضعين ورد بأسلوب الجمع.

العشرة التي ورد فيها بأسلوب المفرد ورد في سبع مواضع منها مقرونا بملة إبراهيم ﷺ، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ النحل: ١٢٠، وقوله سبحانه تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ البقرة: ١٣٥، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ آل عمران: ٦٧، وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء: ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ النحل: ١٢٠. وهذه الآية تحتاج إلى نفس طويل، وتحتاج منا إلى تفصيل في بيان معرفة معنى الأمة، وأنها تأتي على خمسة معان وغير ذلك من المسائل، ولكن نحن أتينا بها هنا للاستدلال على أن الحنيفية هي ملة إبراهيم ﷺ.

كذلك وردت بأسلوب الجمع في قول الله عز وجل: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الحج: ٣١، أيضًا في سورة البينة وردت بأسلوب الجمع: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ البينة: ٥، ودين القيمة أو الحنيفية التي هي ملة إبراهيم ﷺ هي أن تعبد الله وحده لا شريك له.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأنعام: ٧٦-٧٩.

إذن الحنيفية هي ملة إبراهيم ﷺ، وهي: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).

قال: (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ):

هذا هو الأمر العظيم الذي من أجله خلق الله الخلق وأنزل الله الكتب وأرسل الرسل، وهو أن يكونوا على ملة إبراهيم، وهي الدين الحنيف، وهي دين الإسلام.

وقد ورد أيضًا كلمة الحنيف في سنة النبي ﷺ في قوله عليه الصلاة والسلام: **(إنما بعثت بالحنيفية السمحة)** أخرجه أحمد في مسنده، وسئل النبي ﷺ عن أحب الأديان إلى الله فقال: **(الحنيفية السمحة)**[(١)].

قال -رحمه الله-: (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات: ٥٦).

فالله عز وجل ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته.

ما معنى (إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)؟ اختلف المفسرون فيها على أقوال:

القول الأول: كما ذكره ابن جرير -رحمه الله-: ما خلقتُ السعداء من الجن والأنس إلا لعبادتي، وما خلقتُ الأشقياء من الجن والأنس إلا لمعصيتي.

المعنى الثاني: (إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) أي: إلا لآمرهم بعبادتي.

المعنى الثالث: أي: وما خلقتهم إلا ليذعنوا طوعًا أو كرها لعبادتي.

وهم جميعًا كانوا مذعنين ومنقادين، وكانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ العنكبوت: ٦١.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧).

العناوين الرئيسية — المتن — المسائل

www. rashed. ws

وهذه الآية هي من أعظم الآيات التي تبيّن الحكمة من خلق الله عز وجل لخلقه، وهو أن الله سبحانه وتعالى ما خلقهم إلا لعبادته، ثم بعد ذلك تتأمل في واقع الناس وفي حياتهم وفي بعدهم عن الله وإعراضهم عن كتابه وسنة رسوله ﷺ واشتغالهم بما لم يخلقوا من أجله عما خلقوا من أجله، وهذا من أعظم الأمور التي يجب علينا أن نلفت عناية الناس لها ونرشدهم إليها، وهي أن نبيّن لهم أن الله عز وجل ما أوجدنا إلا لهذه الحكمة العظيمة وهي عبادته.

بل كما ورد في القرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى ما أرسل من رسول إلا ليقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ الأعراف: ٦٥، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ النحل: ٣٦.

قال -رحمه الله تعالى-: (وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ،):

العبادة معناها في اللغة: الذل والانقياد.

وفي الاصطلاح: مِن أحسن ما ذكر في تعريفها قول شيخ الإسلام -رحمه الله-: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة).

وأرجو منكم -أيها الإخوة- أن يكون هذا العلم الذي نأخذه نطبقه في حياتنا.

يجب أن يكون له أثر في سلوكنا وفي أخلاقنا، في دعوتنا للناس؛ ولهذا من أعظم الأمور التي نثبت بها هذا العلم أن تذهب فتلقي به كلمة أو ترشد به ضالاً أو تعلم به جاهلاً أو تدخل عبر وسائل الاتصال المعروفة عن طريق الإنترنت أو غيره وتحُث الناس على هذا الأمر العظيم الذي خلقهم الله سبحانه وتعالى من أجله.

قوله: (وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة):

الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقام لأجلها ميزان الجنة والنار، وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ النحل: ٣٦، وقال سبحانه وتعالى مبينا دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ الأعراف: ٥٩.

بل إن أول أمر بين دفتي المصحف في سوره البقرة قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ البقرة: ٢١، كذلك قال العلماء عن توحيد الله عز وجل: (إن كل أمر في كتاب الله عز وجل وفي سنه رسوله ﷺ فإن التوحيد يكون أوله، وأي نهي يكون في كتاب الله وفي سنه النبي ﷺ فإن الشرك يكون أوله)، وقال بعضهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (إن أعظم المعروف هو توحيد الله عز وجل، وأعظم المنكر هو الشرك بالله سبحانه وتعالى). وهذا يجعلك حريصًا كل الحرص على توحيد الله، على تعلمه وتعليمه والعمل به. وهو من أعظم الأمور التي ندعو الخلق إليها، وهو دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وهنا مسائل:

المسألة الأولى: تعريف التوحيد لغة واصطلاحًا:

التوحيد: مصدر وحد يوحّد توحيدًا، إذا جعل الشيء منفردا. يقال: واحد وأحد ووحيد إذا كان منفردا ليس معه شريك.

أما التعريف الاصطلاحي فهو: إفراد الله عز وجل بالعبادة، قال -رحمه الله-: (وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة).

وقيل في توحيد الله عز وجل: هو إفراد الله عز وجل بما يستحقه من الربوبية والألوهيه والأسماء والصفات.

المسألة الثانية: مصطلح التوحيد:

هل مصطلح التوحيد حادث أم أنه مصطلح في أصله موجود في كتاب الله وسنه رسوله ﷺ؟

والجواب: أنه في الأصل موجود، وقد دل على ذلك القرآن والسنة:

قال الله وتعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ الإخلاص: ١-٢.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ البقرة: ١٦٣.

وقال عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ المائدة: ٧٣.

كذلك سنة النبي ﷺ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال لمعاذ حينما أرسله اليمن: **(إنك تأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)**(١)، وورد في بعض الروايات: **(فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله)**(٢).

كذلك في حديث ابن عمر في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)**(٣).

فهذا المصطلح مصطلح التوحيد ليس مصطلحا حادثا، وإنما هو مصطلح شرعي دل عليه كتاب الله وسنه رسوله ﷺ.

المسألة الثالثة: أنواع التوحيد:

يقسم العلماء التوحيد إلى أقسام مختلفة، لكن الغاية والنتيجة واحدة.

فبعضهم يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد في المعرفة والإثبات.

والقسم الثاني: توحيد في الإرادة والقصد.

وبعضهم يقول: هو قسمان:

القسم الأول: توحيد علمي خبري.

القسم الثاني: وتوحيد عملي.

وبعض العلماء يقسمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وسنبين هنا هذه القسمة الثلاثية:

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ١٦)، سنن النسائي (٥/ ٥٥).

(٢) صحيح البخاري (١٨/ ٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٢).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

معنى توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية: هو أفراد الله عز وجل بأفعاله سبحانه وتعالى كالخلق والملك والتدبير والرزق والإحياء والإماتة. فهذه كلها لله عز وجل.

وهذا النوع من التوحيد في الجملة كان المشركون الذين كانوا في عهد النبي ﷺ يقرون به، فيعلمون أن الله هو الخالق، وأن الله هو الرازق والمحيي والمميت، لكنهم كانوا يتخذون الأصنام بزعمهم أنها تقربهم إلى الله زلفا، ويجعلونها واسطة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ العنكبوت: ٦١، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الزخرف: ٨٧، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ العنكبوت: ٦٣.

فهم كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد في الجملة.

معنى توحيد الألوهية:

التوحيد الثاني توحيد الإلوهية: وهو إفراد الله عز وجل بأفعال العباد كالصلاة والخشوع والزكاة والصوم والرغبة والرهبة وغيرها من أنواع العبادة، والتي سيأتي معنا بإذن الله عز وجل جملة كبيرة من هذه الأنواع.

فهذه العبادات سواء منها ما كان من العبادات الظاهرة أو القلبية، وسواء ما كان منها من أعمال اللسان أو من أعمال القلب أو من أعمال الجوارح، فيجب أن تكون خالصةً لوجه الله سبحانه وتعالى، كما قال عز من قائل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ القصص: ٨٨، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن: ١٨.

وتوحيد الإلوهية سمي بهذا الاسم من التأله وهو التعبد؛ ولذا يسمى كذلك: توحيد العبادة، ويسمى أيضا: توحيد الإرادة والقصد.

المسألة الرابعة: أهمية توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو الذي وقع فيه الخلاف بين أفراد هذه الأمة، بل والأمم السابقة، وهو الذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب.

ولكن يجب أن تعلموا أيضا أن هناك من خالف في هذه المسألة، ويرى أن التوحيد الذي من أجله حدث الخلاف بين الأنبياء وأقوامهم هو توحيد الربوبية، ويقولون: إن معنى (لا إله إلا الله) أي: لا قادر على الاختراع إلا الله، وهم الأشاعرة، ولا شك أن هذا باطل وغير صحيح، ولم يدل عليه دليل لا من القرآن ولا من السنة ولا من لغة العرب.

فالتوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق وأنزل الكتب هو توحيد الإلوهية، وهو الذي حصل فيه الخلاف بين الناس، وهو أيضا مناط الشرك الأكبر الذي يحدث لدى كثير من المسلمين.

معنى توحيد الأسماء والصفات:

النوع الثالث من أنواع التوحيد: توحيد الأسماء والصفات، وهو: إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وهذا النوع من التوحيد له وجهان:

الوجه الأول: الإثبات.

الوجه الثاني: النفي.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء والصفات التي فيها الكمال، وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق به سبحانه وتعالى، كما الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ المائدة: ٦٤، وقال سبحانه:

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ آل عمران: ١٨١، وغيرها من الآيات.

المسألة الخامسة: هل هذا التقسيم بدعة؟

ذكر بعضهم أن هذا التقسيم بدعة؛ لأنه لا يوجد آية في القرآن ولا حديث يبين هذه القسمة، فهل يوجد آية في القرآن تقول: إن التوحيد ثلاثة أنواع؟ وهل يوجد حديث عن النبي ﷺ يقول: التوحيد ثلاثة أقسام؟!

والجواب: لا توجد أحاديث أو آيات تنص على هذه القسمة، لكن العلماء الذين ذكروا هذه القسمة أخذوها بالتتبع والاستقراء، بمعنى أنهم استقرؤوا نصوص القرآن ونصوص السنة، فاستخرجوا واستنبطوا هذه الأنواع الثلاثة.

ثم إن البعض يريد أن يشكك ويقول: إن هذا التقسيم بدعة استحدثها ابن تيمية وتلاميذه. وهذا خطأ لأننا حينما نأتي إلى تفسير ابن جرير -رحمه الله- وهو من علماء القرن الثالث، نجد أنه ذكر هذه الأنواع الثلاثة، كذلك الإمام ابن منده -رحمه الله تعالى- فقد أشار إلى هذه القسمة. ثم قررها وأفاض المسائل فيها وفصلها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وتلميذه ابن القيم الجوزية -رحمهم الله جميعا-.

فإذن من قال: إن تقسيم التوحيد بهذه القسمة الثلاثية بدعة، فبضاعته في العلم مزجاة؛ لأنه لا دليل على أنها بدعة، وكثير من الأمور والاستنباطات يكون الذي يدل عليها التتبع والاستقراء.

وما دام أن هذه القسمة الثلاثية قد أوردنا عليها جميعا الأدلة من القرآن والسنة فإن هذا دليل على أنها ثابتة وأنها صحيحة بالأدلة التي ذكرناها، ألا ترى مثلا أن العلماء يقولون: الكلمة ثلاثة أنواع: اسم وفعل وحرف، وقد أخذت بالتتبع والاستقراء ولم يخطئهم أحد؟!

قال: (وأعظم ما نهى عنه الشرك):

الشرك هو أعظم ما نهى الله عز وجل عنه، لماذا؟ لأمور:

أولا: أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لصاحبه إذا لم يتب لله عز وجل قبل موته، كما قال ربي سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ النساء: ٤٨، والآية الأخرى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ النساء: ١١٦.

ثانيا: أن من أشرك بالله فقد حبط عمله: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الزمر: ٦٥.

ثالثا: أنه أكبر الكبائر، قال النبي ﷺ: **(أكبر الكبائر الشرك بالله)** الحديث[(١)].

فهذا كله دليل على خطورة هذا الشرك.

رابعًا: هو أعظم الظلم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ لقمان: ١٣.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن الظلم ثلاثة دواوين، وذكر منها الديوان الأول: ظلم لا يغفره الله لصاحبه وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى.

لهذه الأمور الأربعة وغيرها كان الشرك أعظم ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، والآيات في هذا كثيرة، وقد أوردنا جملة منها في الدروس الماضية.

قال: (وهو دعوة غيره معه):

وهذا تعريف منه للشرك.

ما معنى الشرك؟

الشرك في اللغة: قال أهل اللغة: الشين والراء والكاف أصل للمقارنة بالشيء، فكما أن الشريك إذا خالط شريكه لا يكون لأحدهما الأمر دون الآخر، فكذلك الشرك بالله سبحانه وتعالى لمن أشرك مع الله عز وجل، فهو يدل على المقارنة وعدم الانفراد.

والشرك اصطلاحًا: قال المصنف -رحمه الله-: (هو دعوة غيره معه).

---

(١) أخرجه البخارى (٦/ ٢٥١٩)، مسلم (١/ ٩١).

www. rashed. ws

أو يقال: هو الإشراك بالله عز وجل معه في توحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء الصفات.

ما لفرق بينه وبين الكفر؟

أولاً: من حيث اللغة: الكاف والفاء والراء أصل يدل على الستر والتغطية. والشرك تقدم بيانه.

ثانيًا: من حيث المعنى فهما يأتيان بمعنى واحد في القرآن، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ الكهف: ٣٥-٣٦، ثم قال: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ الكهف: ٣٧-٣٨. فقد يأتيان بنفس المعنى، يقال: هذا كفر، ويقال: هذا شرك.

وقد يختصّ كل واحد منهما بمعنى، فيكون الشرك يختص بعباده الأوثان، والكفر يكون أعمّ منه. وبهذا يتضح الفرق بين الكفر وبين الشرك، والمسألة في هذا تطول، والإمام النووي -رحمه الله- له تفصيل في هذه المسألة:

أنواع الشرك:

بعض العلماء يقسم الشرك إلى ثلاثة أقسام فيقول:

القسم الأول: الشرك الأكبر.

والقسم الثاني: الشرك الأصغر.

والقسم الثالث: الشرك الخفي.

أما الشرك الأكبر: فهو أن يدعى مع الله سبحانه وتعالى غيره، وأن يشرك بالله عز وجل في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

فالقسم الأول من أنواع الشرك الأكبر: الشرك في الربوبية، ومن أمثلة الشرك في توحيد الربوبية القول: إن الخالق هو الآلهة أو الأصنام. وهذا لا يعرف كثيرًا، بل حتى

فرعون الذي قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) لما غرق قال: (آمِنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ).

وقد بين الله سبحانه أن قلوب المشركين كانت تبطن هذه المعرفة، قال الله عز وجل: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)** النمل: ١٤.

فهذا النوع من الشرك قل أن يوجد، لكن ليس معنى ذلك أنه لا يوجد، فالمانوية كانوا يؤمنون بإله النور أو إله الخير، وبإله الشر أو إله الظلمة.

والنوع الثاني من أنواع الشرك الأكبر: هو أن يشرك مع الله عز وجل في ألوهيته، وهو أن يعبد المخلوق كما يعبد الخالق عز وجل، أو أن يصرف للمخلوق أي نوع من أنواع العبادة التي أمر الله عز وجل أن تكون خالصة لوجهه سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾** ﴾ الجن: ١٨، وهذا النوع من الشرك هو الأكثر شيوعًا وخاصة في زماننا هذا، فتجد أن هناك من يعبد أصحاب الأضرحة والقبور والأولياء ويتقرب إليهم بأنواع القرابين.

يذكر لي أحد علماء السودان –وقد زرتهم– أن ضريحا أقيم على قبر لأحد الأولياء، فقررت الحكومة أن يبنوا جسرًا يربط بين ضفتي نهر، لكن هذا الجسر لا بد أن يمر فوق الضريح، فالشركة الصينية التي أتت قامت ببناء الجسر من كل جهاته حتى وصلوا إلى الجهة التي على القبر مباشرةً يريدون أن يكملوا بناء هذا الجسر، فقام من يؤله ومن يعبد هذا الضريح وهذا القبر بمنعهم، وأصبحت مظاهرات كبيرة بسبب هذا الأمر، فقرر أحد علماء أنصار السنة المحمدية –وأظنه الشيخ أبو زيد بارك الله فيه– فقال: أنا الذي سأنزل وأنقل رفات هذا القبر إلى مكان آخر.

فلما اقترب من القبر وهو رجل صالح وكبير في السن قال له سدنة الضريح: يا شيخ، نحن نخشى عليك أن يصيبك الولي بمصيبة، فقال الشيخ: لا عليكم، أنا شيخ وهو شيخ، وخلونا إحنا الشيوخ نتفاهم مع بعض.

نزل الشيخ إلى القبر يقول: والله، وجدت أوراقًا وأموالا وملابس نساء داخليه مكتوب فيها: أيها الولي اسقنا، أغثنا، ارزقنا الأبناء، ارزقنا الذرية، ارزقنا الأموال، ارزقنا

الأولاد، ارزقنا الوظائف، فكلُّ ما يُطلب من الله عز وجل أصبح يُطلب من هذا الولي الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرا.

وهذا لا شك أنه يستوجب علينا أن نحرص كل الحرص على أن نقوم بالدعوة إلى التوحيد، وننشر هذه الملة والعقيدة الصحيحة، ونبصر الناس بأمور دينهم، وأن لا نغتر بمن قال: التوحيد معروف. فوالله، لو أننا عرفناه حق المعرفة لما رأينا هذه المآسي التي تنتشر في عالمنا الإسلامي.

والشرك في الألوهية لا يغفره الله لصاحبه إلا أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى، ومن مات عليه فنحكم أنه خالد مخلد في نار جهنم.

والنوع الثالث من أنواع الشرك الأكبر: هو أن يشرك مع الله عز وجل في أسمائه وصفاته، كما قال الله عز وجل: ﴿**وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ١٨٠﴾ الأعراف: ١٨٠.

القسم الثاني من أقسام الشرك: الشرك الأصغر:

وضابط الشرك الأصغر هو كل وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر، سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً، ونص عليها في الشريعة أنها كفر.

فقد يكون في الأقوال، وقد يكون في الأفعال.

مثال الشرك في الأقوال: أن يقول الرجل: (ما شاء الله وشاء فلان)، وقد ورد في الحديث: قالوا: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: **(أجعلتني لله ندا؟! قل: ما شاء الله وحده)**.

وأيضا أن يقول: (لولا الله وفلان)، والصواب أن يقول: لولا الله ثم فلان. وهذا من الشرك الأصغر الذي حذر من النبي ﷺ.

كذلك من الشرك الأصغر الحلف بغير الله، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: **(من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)**.

ومن الشرك الأصغر في جانب الأفعال: أن يأتي فيعلّق حلقة أو خيطا ويعتقد أن هذه الحلقة أو الخيط تدفع البلاء عنه. فمجرد الاعتقاد بأن هذه الحلقة والخيط سبب هذا شرك أصغر؛ لأنه اعتقد فيما لم يكن سببا أنه سبب.

أو كأن يقول: والله، هذه الساعة إذا وضعتها في يدي فستكون سببا أن تدفع عني الأضرار والأمراض ونحو ذلك. فهذا شرك أصغر. لكن لو قال: هذه الحلقة أو هذا الخيط يجلب النفع ويدفع الضر بذاته، فقد ساواه بالله عز وجل وجعله ندا لله عز وجل، فيكون عند ذلك شركًا أكبر.

القسم الثالث من أقسام الشرك: الشرك الخفي:

وهو كما يعبر عنه ابن القيم -رحمه الله- وشيخ الإسلام: شرك الإرادات، وهو أن يقوم يصلي فيرى الناس ينظرون إليه فيطيل في الصلاة، أو يتحدث ثم يرى الناس ينصتون إليه فيحسن حديثه، أو يقرأ فينظر إلى الناس يستمعون إليه فيحسن قراءته، ليس لله وإنما من أجل ثناء الناس عليه.

وهذا كما قال النبي ﷺ: **(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)**، فسئل عنه فقال: **(الرياء)**، وقال ﷺ كما ورد في بعض الآثار: **(إن الشرك أخفى في هذه الأمة من دبيب النملة السوداء على الصفاة الصماء)**.

لكن لو كان هذا العمل من أصله لغير الله عز وجل فعند لك يكون عملاً باطلاً، ويكون كما قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾**﴾ النساء: ١٤٥، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾**﴾ النساء: ١٤٢.

هذه هي الأقسام الثلاثة للشرك: الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والشرك الخفي.

ولا شك أن هذه التقسيمات للتوحيد والشرك من المبادئ المهمة التي تجعلك مدركًا لكلام أهل العلم ومدلولاتهم، خاصة إذا كان في مدلولاتهم إطلاق، فإنك تستطيع أن تعيد كل إطلاق إلى أصله إذا استطعت أن تلم بهذه المسائل الثلاثة.

ومن أهل العلم من يقسم الشرك إلى قسمين:

الأول: شرك أكبر.

الثاني: شرك أصغر.

فالشرك الأكبر هو الذي تقدم معنا، أما الشرك الأصغر فعلى هذا التقسيم نوعان:

الأول: شرك في الأقوال والأفعال، مثال الأقوال: (ما شاء الله وشاء فلان)، ومثال الأفعال الاعتقاد في الحلقة والخيط ونحوها.

الثاني: شرك الإرادات والنيات، وهو الذي تحدثنا عنه قبل قليل.

قال -رحمه الله-: (وأعظم ما نهى عنه الله عز وجل الشرك وهو دعوه غيره معه، والدليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ النساء: ٣٦).

هنا أمر بالعبادة، وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، ونهي عن الشرك. وبهذا يكون المؤلف -رحمه الله- قد استدل لأعظم ما أمر الله به، واستدل كذلك لأعظم ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾.

الدرس الرابع

قل المصنف -رحمه الله-:

(فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدا ﷺ. فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فصلت: ٣٧، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف: ٥٤، والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ البقرة: ٢١-٢٢. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة).

قوله -رحمه الله تعالى-: (فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدا ﷺ. فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه):

هذا شروع من المؤلف في بيان ما ألف من أجله هذا الكتاب. وكما ذكرنا لكم في أول درس أن المؤلف -رحمه الله- قدم بمسألتين اثنتين: مسألة تحتوي على أربع مسائل، والمسألة الثانية تحتوي على ثلاث مسائل. وكلها تمهيد لهذه الأصول الثلاث.

فالشيخ -رحمه الله- حينما بدأ في بيان مقصوده من تأليف هذه الرسالة أتى بطريقة السؤال والجواب لأمرين:

الأول: للفصل بينها وبين المقدمتين الاثنتين اللتين سبقتا.

الثاني: ليكون أوقع في ذهن السامع؛ لأنه إذا أتى على صيغه سؤال وجواب يكون هناك اختلاف في نمط التأليف، وأيضا يكون أكثر للإدراك والانتباه من الطالب.

وهذه المسائل الثلاث التي بينها -رحمه الله- من أعظم المسائل التي يجب العناية بها، فإن العبد بمعرفتها والإيمان بها تكون سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة.

وأول الآخرة نجاته في قبره، وكلكم الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه أبو داود في سننه أن النبي ﷺ كان في جنازة فوصل إلى المقبرة ولم يلحَد القبر بعد، فجلس النبي ﷺ وبيده عود ينكث به، ثم قال ﷺ: **(إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة أتاه ملكان)** الحديث... حتى قال ﷺ: **(فيسمع قرع نعالهم، فإن كان مؤمنا يقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ويقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: من نبيك؟ فيقول: نبيي محمد ﷺ)**، قال ﷺ: **(فذلك قول الله عز وجل:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ إبراهيم: ٢٧، **وإن كان كافرا أو منافقا فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، من نبيك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته)**.

هذا الحديث يبين عظم هذه الرسالة التي ألفها المصنف -رحمه الله-، وأنه يريد بها نجاتك في الدنيا والآخرة.

وما أعظم العلماء الذين يحرصون على هداية الناس وإرشادهم ونقلهم من ظلمات الجهل والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والتقوى والإحسان، فمعرفتنا بهذه الأصول الثلاثة معرفةً يكون معها علم وعمل ودعوة وصبر، يكون بها نجاة للعبد في هذه الدنيا وذلك بسعادته بطاعة الله عز وجل، ونجاة للعبد يوم القيامة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فنسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

إذن هذه المسألة من أهم المسائل التي يجب على المسلم أن يعرفها.

كذلك من الأمور التي تحدث عنها العلماء هنا: أهميه معرفه هذه المسائل بدليلها، فطالب العلم بحاجة إلى أن يعرف كل مسألة يَدين لله بها بدليلها من الكتاب والسنة؛ حتى لا يكون كالكافر الذي يقول: (سمعت الناس يقولون شيئا فقلته). فمجرد معرفه الإنسان بأن ربه الله وأن الله هو الرب وأن محمدا هو النبي وأن الإسلام هو الدين إذا لم يكن معها إيمان فإنها لا تنفع صاحبها، والإيمان من أعظم ما يقويه لدى المسلم أن يكون عالما بهذه المسائل مع دليلها من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

قال المصنف -رحمه الله-: (فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الفاتحة: ٢، وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم):

هنا شروع من المؤلف في بيان الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه.

والمعرفة لدى المخلوق يقابلها العلم لدى الخالق عز وجل.

وقد ذكر بعض العلماء أنّ الأفضل أن لا يطلق (العارف) على الله عز وجل لأمرين:

أولاً: لأن المعرفة يسبقها جهل، والعلم لا يشترط أن يسبقه جهل.

ثانيًا: أن المعرفة وردت في بعض الآيات القرآنيه بصيغه الذم، كما قال الله عز وجل: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ النحل: ٨٣، ومع هذا فقد ورد في حديث أن النبي ﷺ أرسل معاذًا إلى اليمن وقال له: **(ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله)** وفي رواية: **(إلى أن يوحدوا الله)**، وفي رواية: **(إلى أن يعرفوا الله)**. فهو يصح لكنّه خلاف الأولى.

قد يأتي استشكال في قول النبي ﷺ: **(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)**، فنقول: كما هو مقرر في باب الأسماء والصفات أن باب الأخبار أوسع من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، فقد يُخبر عن الله عز وجل أو يكون من أفعال الله سبحانه وتعالى أن يقال: إن الله عز وجل يمكر بمن يمكر به كما قال: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ الأنفال: ٣٠، وإن الله يستهزئ بمن يستهزئ به، ولكن لا يقال: إن من صفات الله المكر والاستهزاء

والمعرفة. فهذا من باب الإخبار وباب الأفعال، وهي أوسع من باب الصفات ومن باب الأسماء.

قال: (أولا: معرفه العبد ربه):

ما المقصود بمعرفه العبد ربه؟

المقصود معرفة العبد معبودَه عز وجل، فالربوبية هنا يعني بها الألوهية، وفي القرآن يطلق الربوبية ويراد بها الألوهية كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ التوبة: ٣١، وقد ذكر العلماء أن الإيمان بتوحيد الربوبية يستلزم الإيمان بتوحيد الألوهية، والإيمان بتوحيد الألوهية يتضمن الإيمان بتوحيد الربوبية. وهذا يتضح بمعرفة دلالة الألفاظ على ثلاثة أنواع كما هو مقرر عند علماء أصول الفقه:

الأولى: دلالة المطابقة. ويقصد بها دلالة الشيء على معناه.

الثانية: دلالة التضمن. وهي دلالة الشيء على بعض معناه.

الثالثة: دلالة الالتزام. وهي دلالة الشيء على أمر خارج عن معناه.

فالمقصود هنا أن المراد بقوله: (معرفه العبد ربه) معرفه العبدِ إلَهَه ومعبودَه كما تقدم أن الآيات القرآنية قد تطلق الربوبية ويراد بها الألوهية.

قال -رحمه الله-: (فإذا قيل: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه):

معنى الرب: إما من رباه تربية أي: ساسه ورباه، أو بمعنى الملك.

والآية التي استشهد بها رحمه الله قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ الأقرب أنها من التربية بمعنى رباه وساسه.

وتربيه الله عز وجل لعباده واضحة وضوح العيان، فمن تربية الله عز وجل لعباده أن أرسل لهم الرسل ليبينوا لهم التوحيد والحق والخير، ومن تربية الله عز وجل لعباده أن أنزل عليهم الكتب، ومن تربية الله سبحانه وتعالى لخلقه أن أسدى لهم النعم العظيمة، ونعم الله سبحانه وتعالى لا تعدّ ولا تحصى.

www. rashed. ws

قوله: (الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه):

فجميع العالمين الإنس والجن، المؤمن والكافر، البر والفاجر، كلهم يدخلون تحت هذه التربية التي قلنا: إنها تربية عامة لجميع الخلق.

قوله: (وهو معبودي لا معبود لي سواه):

قال في معرفه الله عز وجل: (وهو معبودي)، وهذا يبين لك أن المصنف أراد بقوله: (معرفه العبد ربه) أي: معبوده، فأطلق الربوبية على الألوهية.

قال: (والدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾):

قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ اللام في قوله: (للهِ) هل هي للاستحقاق أو للملك؟ يقول العلماء: إذا كان ما قبل اللام من الأعيان فيكون المراد بها الملك، وإذا كان من الصفات فيكون المراد بها الاستحقاق.

فلام (لله) للاستحقاق، والألف واللام في (الحمد) تفيد الاستغراق، أي: جميع أنواع الحمد لله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل يحمد على أسمائه، ويحمد على صفاته، ويحمد على شرعه، ويحمد على أمره، ويحمد على قضائه وقدره. هذه خمسة أنواع للحمد لله سبحانه وتعالى.

وهناك فائدة تتعلق بلفظ (الرب)، وهي أنه لا يصح أن يطلق لفظ الرب على أحد غير الله عز وجل، ولا يطلق على غير الله عز وجل إلا مضافًا يقال: رب البيت، ورب الدار، ورب الناقة، وغيرها، ولا يطلق على غير الله تعالى بشكل عام، بل يكون مضافا إلى شيء آخر.

ما معنى الحمد؟

الحمد هو الثناء على الله عز وجل بالجميل الاختياري.

ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الحمد أعم من الشكر من جهة، والشكر أعم من الحمد من جهة.

فمن جهة السبب فإنك تحمد الله عز وجل على ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمخلوق لا يشترط أنك تحمده لأنه أسدى إليك نعمة، فأنت تحمده لما له من صفات حسنة ومن أخلاق كريمة فتحمده عليها. فالحمد لا يشترط أن يكون في مقابل

نعمة. أما الشكر فيشترط أن يكون في مقابل النعمة، فلا تشكر إلا من أسدى إليك نعمة، قال ﷺ: **(من أسدى إليكم معروفا فكافئوه)**. هذا من جهة.

أما من جهة متعلقات الحمد والشكر فالحمد متعلَّقه القلب، بينما الشكر متعلقه القلب واللسان والجوارح، قال الله عز وجل: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ سبأ: ١٣. قال الشاعر:

أفادتكُمُ النعماء مني ثلاثةً　　　يدي ولساني والضمير المحجَّبا

قال -رحمه الله-: (وكل من سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم):

العالم: هو كل من سوى الله عز وجل: عالم النبات، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الشياطين، وغيرها، فتطلق مضافة لا مفردة.

قوله: (فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟):

فيه مسائل:

المسألة الأولى:

من الأمور العظيمة التي تبعث على الإيمان في القلب المسلم معرفته بالله عز وجل، ونحن دائمًا ما نتساءل عن معرفتنا بالله سبحانه وتعالى وعن ضعفها في قلوبنا، حينما تتأمل في كثير من الناس تجد أن لديه إلمامًا كبيرًا في جوانب معينة، جوانب تتعلق بمجالات مختلفة في حياة الناس، أو في علوم محددة، أو بشخصيات حتى إنها أحيانا تكون غير إسلامية، لكن ما مدى معرفتنا بمحمد ﷺ؟ هنا نقف كثيرًا عند جهل الناس وعدم معرفتهم بسيرة النبي ﷺ وحياته وسننه وأيامه.

كذلك معرفتنا بالله عز وجل، كيف هي معرفة العبد بربه؟ تجد أن هناك جهلاً كبيرًا في هذه المسألة، ولهذا قال بشر الحافي رحمه الله تعالى: (لو عرف الناس ربهم وعظموه لما عصوه). وهذا واضح بين، فإن من عرف الله بأسمائه وصفاته وقدرته وملكوته وجبروته عز وجل، فإنه يمنعه من الوقوع في المعصية، ويدعوه إلى مراقبة الله سبحانه وتعالى وهي ثمرة من ثمار معرفة العبد بربه سبحانه وتعالى.

المسألة الثانية:

يجب على المسلم أن يحرص على أن يتفكر في مخلوقات الله عز وجل وملكوته، ليصل بالتالي إلى أن هذا الكون لا بد له من خالق وهو الله سبحانه وتعالى. تأمل في السماء كيف رفعها الله عز وجل بلا عمد، والأرض كيف بسطها الله سبحانه وتعالى، والجبال كيف أرساها، وخلقه للمخلوقات الصغيرة والكبيرة، الحشرات العناكب وغيرها، كلها تدل على الله سبحانه وتعال، بل إن نبينا ﷺ كان قبل البعثة يتعبد الله عز وجل بعبادتين:

العبادة الأولى: توحيده لله عز وجل.

العبادة الثانية: التفكر في ملكوت الله سبحانه وتعالى.

فعبادة التفكر من أعظم ما يوصل إلى معرف العبد بربه، وقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما كان ليلة من الليالي قال ﷺ: **(يا عائشة، ذريني أتعبّد الليلة لربي)** قلت: والله، إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟! قال: **(أفلا أكون عبدا شكورا؟! لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها:** ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾**﴾ آل عمران: ١٩٠-١٩١)[١]، وقد رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه كما عند ابن حبان أنه قال: (تفكُّر ساعة خير من عبادة ستين سنة) أي: خير من عمل ستين سنة، وهذه دلالة واضحة على أهمية أن يُعمِل العبد فكره وتأمّله في ملكوت الله عز وجل.

قيل لأعرابي: كيف عرفت الله؟ أعرابي لا يقرأ ولا يكتب، أميّ، لكن استطاع أن يعرف الله عز وجل من خلال هذا الكون الفسيح، قال -وهو راع للإبل-: البعرة تدلّ

(١) رواه ابن حبان (٦٢٠)، وهو في السلسلة الصحيحة (٦٨).

www. rashed. ws

على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج وأرض ذات فجاج ألا تدلّ على اللطيف الخبير؟!

تأمل في رياض الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لجين شاخصاتٌ   بأحداق هي الذهب السبيكُ
على كُثب الزبرجد شاهداتٌ   بأن الله ليس له شريكُ

قال -رحمه الله-: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ):

وفيه مسائل

المسألة الأولى: آيات الله نوعان:

النوع الأول: الآيات الشرعية، وهي هذا القرآن العظيم الذي بين أيدينا، والذي فيه دلالة على وجود الله، وعلى ملكوت الله عز وجل، وعلى أن الله سبحانه وتعالى له الخلق وله الأمر تبارك الله رب العالمين، وهذا القرآن هو الآية الشرعية التي تدلنا على وجود الله وعلى قدرته، وتعرفنا بالله وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

النوع الثاني: الآيات الكونية، ويقصد بها ما خلق الله في هذا الكون الفسيح: السماء، الأرض، الجبال، الشجر، الدواب، الليل، النهار، كل هذه تدل على الله سبحانه وتعالى، بل حين تتأملون في بعض المكتشفات الحديثة تجدون أنه حتى الذين لم يسلموا تجدونهم يقولون: إن هذا الكون لا بد له من خالق وهو الله سبحانه وتعالى.

أول رائد فضاء كان روسيًّا، حينما نزل قيل له: ماذا رأيت؟ قال: رأيت أن هذا الكون بهذا التدبير المتقن لا بد له من خالق.

إذن آيات الله هي الآيات الشرعية والآيات الكونية.

المسالة الثانية:

حينما تتأمل تجد أن بعض الفلاسفة والوجوديين والدهريين وغيرهم، تجدهم يُنكرون وجود الله، ويقولون: إن هذا الكون وُجد صدفة، وذلك عن طريق سحابة غازية تكونت بفعل الضغط والحرارة والتغيرات الجوية، ثم انبثقت هذه السحابة الغازية عن كتلة شمسية، سميت فيما بعد بالمجموعة الشمسية، وكان من بينها الأرض، فالأرض تبردت قشرتها ومن ثم أصبحت قابلة للحياة.

ثم أتى بعد ذلك نظرية داروين الذي أسس نظريته المعروفة بالنشوء والارتقاء، وقال: إن كل هذا الكون الموجود في هذه الأرض يتكون من خليه اسمها **الأميبيا**، هذه الخلية انشقت عنها خلايا: خلايا الحشرات، وخلايا الطيور، وخلايا القرود، والتي نشأ عن هذه الخلية الثالثة وهي خلايا القرود وجود الإنسان.

وهذا كله باطل لا يستند إلى عقل صحيح ولا دليل شرعي من الكتب السماوية، بل الذي دل عليه السمع وهو القرآن والسنة، وأيضا ما أنزله الله عز وجل على الأنبياء قبل محمد ﷺ، وما يدل عليه العقل أيضا أن هذا الكون لا بد له من خالق منظم له؛ ولهذا يقول الله تعالى في سورة الطور: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ** ﴿٣٥﴾ ﴾ الطور: ٣٥.

قال -رحمه الله- هنا: (قُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا):

استشكل البعض قول المصنف -رحمه الله-: (بآياته ومخلوقاته)، وذلك أن الآيات على نوعين: **النوع الأول**: الآيات الشرعية، **النوع الثاني**: والآيات الكونية، فحينما يقول: (بآياته ومخلوقاته) المخلوقات هي جزء من الآيات الكونية، فلماذا فرق بينها الإمام رحمه الله؟

قال بعض العلماء: ليس هناك تفريق بينهما لأن المخلوقات جزء من الآيات، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وعطف الخاص على العام يرد في القرآن وفي السنة، يقول الله سبحانه: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ** ﴾ العصر: ٣، فهل العمل ليس من الإيمان؟ هو من الإيمان فهذا من باب عطف الخاص على العام، وعطف الخاص على العام يفيد أن لهذا الخاص من الأهمية ما للعام من الأهمية.

وقيل: إن الأمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- فرّق بين الآيات والمخلوقات لأمر في غاية الأهمية، وهو أن الشمس والقمر والليل والنهار آيات تتغير، فتأتي الشمس ويذهب القمر، يأتي القمر وتذهب الشمس، يأتي الليل ويذهب النهار، والآيات المتغيرة أوقع في نفوس الناس من الآيات الثابتة، أما السماوات والأرض والجبال وغيرها فهذه مخلوقات يراها الإنسان باستمرار فلا تُثير عنده التساؤل، ولهذا قال تعالى في بيانه لقصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ**

www. rashed. ws

﴿٧٥﴾ ﴾ الأنعام: ٧٥، ولما أتى للاستدلال قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأنعام: ٧٦-٧٨.

ولعل البيان الأول وهو أنه من باب عطف الخاص على العام هو أولى وأوضح في هذا المقام.

قال -رحمه الله-: (وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ):

هذا واضح، فإن من تأمل هذه المخلوقات التي خلقها الله عز وجل يعلم أن هذا الكون لا بد له من متقن وهو الله سبحانه وتعالى.

ثم استدل بقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ﴾ فصلت: ٣٧، أي: من الآيات التي نصبها الله عز وجل علامة على قدرته وعلى وجوده وعلى وحدانيته وعلى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته الليل والنهار، الليل الذي جعله الله سبحانه وتعالى سباتًا ينام الناس فيه وترتاح أبدانهم وقلوبهم، وجعل النهار معاشًا، واختلاف الليل والنهار آية من آيات الله سبحانه وتعالى، فالشمس والقمر وتتابعهما بهذا الإتقان العجيب يدل على أنهما من صنع العليم الخبير سبحانه وتعالى.

قال: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، خلق ماذا؟ خلق الليل والنهار والشمس والقمر، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ فصلت: ٣٧، أي: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له، وتنقادون لأمره، فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واجعلوا سجودكم لله عز وجل.

والسجود أصله طأطأة الرأس أو طأطأة الجسم بالانحناء به كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ يوسف: ١٠٠، وهذا يكون من الأعلى إلى الأسفل، هذا هو أصل معنى السجود.

والسجود من العبادات العظيمة والتي أمر الله عز وجل أن تكون خالصة له وحده سبحانه وتعالى كما قال الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨، وكما سبق أن بيّنا أن لفظ المساجد في هذه الآية قد يراد به مواضع السجود، وقد يراد به المساجد، وعلى كلا المعنيين يجب أن يكون السجود خالصًا لله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾.

مسالة: هل كان العرب يعبدون الشمس حتى ينهاهم الله عز وجل عن عبادة الشمس؟

من المعلوم أن العرب كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله عز وجل؛ لذا قال بعض أهل العلم: إنه لا يُعرف أن العرب كانوا يعبدون الشمس من دون الله عز وجل، فهذا فيه أنكم إذا رأيتم الصابئة الذين يعبدون الشمس من دون الله ويسجدون لها فلا تفعلوا مثلما فعلوا، فالمعنى: أنكم وإن لم تفعلوا فلا تفعلوا في المستقبل ما فعله هؤلاء.

وهناك من أهل العلم من يقول: إن الشمس والقمر والنجوم والكواكب عُبدت من دون الله عز وجل، عُبد نجم الشعرى والدَّبران وغيرها، عُبدت من دون الله عز وجل، وأيضا عبد بعض العرب القمر من دون الله سبحانه وتعالى، ويقال: إن عَبد شمس في النسب المعروف هو نسبة إلى صنم يقال له: شمس، فكانوا يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى، مثل عبد اللات وعبد العزى وغيرها من الأسماء التي كان العرب يتسمون بها.

بل إن دين الصابئة كان قريبًا من العرب في العراق، وكانوا يعبدون الشمس من دون الله عز وجل، وكونه في العراق فهذا دليل على أن العرب بالإمكان أن يتأثروا به فيعبدون الكواكب من دون الله سبحانه وتعالى.

أيضا قوم سبأ في اليمن كانوا يعبدون الشمس كما قال تعالى عن الهدهد: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ النمل: ٢٤، فأثبت أنهم كانوا يعبدون الشمس من دون الله، فلا شك أن هذا قد يؤثر على العرب في الجزيرة في عبادتهم للشمس من دون الله أو في السجود لها.

بل إن العرب حينما أتى النبي ﷺ وبُعث بهذا الدين كانوا يسمونه الصابئ، يظنون أنه على دين الصابئة، ولهذا قالوا: إنّ محمدًا قد صبأ، وكانوا يظنون أن هذا هو الدين الذي بعث به محمد ﷺ.

وورد في آية أخرى أن الشمس والقمر يسجدان لله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الحج: ١٨، فهذا دليل على أنها تسجد لله عز وجل، وورد في الحديث الصحيح في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: غربت الشمس، فقال النبي ﷺ: **(هل تدري أين ذهبت؟)** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **(تذهب فتسجد تحت العرش، فتستأذن ربها سبحانه وتعالى فيأذن لها، وأنه يوشك أن تسجد فلا يُقبل منها، وأن تستأذن فلا يؤذن لها، ثم تعود فتطلع الشمس من مغربها، وهذا هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ يس: ٣٨)**[1].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف: ٥٤.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ربكم هنا بمعنى إلهكم، وذكرنا لكم أن الربوبية أو لفظ الرب يأتي أحيانا بمعنى الألوهية، ربكم أي: مصلح أموركم وخالقكم سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، فالله عز وجل خلق السماوات والأرض في هذه الأيام الستة، وبين بعض العلماء الحكمة من ذلك وهو ربط الله بين الأسباب ومسبباتها، ومعلوم أن الله عز وجل قادر على أن يخلقها بـ(كن) فتكون، وقادر على أن يخلقها في يوم بل في لحظة، ولكن من باب ربط الأسباب بالمسببات، والله على كل شيء قدير، وهو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٢٧، ٤٥٢٤، ٤٥٢٥، ٦٩٨٨، ٦٩٩٦).

جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: **(إنّ الله خلق التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة)**[1]. قال العلماء ومنهم الإمام البخاري -رحمه الله-: هذا الحديث لا يصح مرفوعا إلى النبي ﷺ؛ لأنه يُخالف هذه الآية العظيمة التي بيناها، حيث ذكر أن عملية الخلق كانت في سبعة أيام، ولعل الصحيح فيه أنه موقوف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أو عن كعب الأحبار، ولا يصح مرفوعًا عن النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ الأعراف: ٥٤.

الحديث عن استواء الله على عرشه يطول، وقد بسط العلماء الحديث فيه، وأحسن ما يُقال في بيان مذهب السلف الصالح ما قاله الإمام مالك -رحمه الله-: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب).

فالاستواء هو استواء حقيقيّ يليق بالله سبحانه وتعالى، وقد استفاضت الأدلة في القرآن والسنة على إثبات استواء الله عز وجل على عرشه.

قال تعالى: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ الأعراف: ٥٤.

(يغشي الليل النهار) أي: يدخل الليل على النهار، فيُذهب نور هذا بظلام هذا، وظلام هذا بنور هذا.

قوله: (يطلبه حثيثا) يعني سريعًا.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ الأعراف: ٥٤.

وكل هذه دالة على أن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر، ودالة على قدرة الله سبحانه وتعالى، وحينما يتفكر العبد في هذه المخلوقات في النجوم والجبال والشجر والدواب عند ذلك يعلم قدرة الله وملكوته، فضلا عن معرفته بأن هذا الكون لا بد له من خالق وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العناوين الرئيسية   المتن   المسائل

قال -رحمه الله تعالى-: (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ البقرة: ٢١-٢٢):

قوله -رحمه الله-: (والرب هو المعبود):

وهو الذي أكدناه لكم أكثر من مرة، وهو أن لفظ الربوبية يراد به الألوهية، وهو توحيد العبادة؛ لأنه هو الذي كان الابتلاء فيه، وقد قررنا أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وهناك خلط كثير في هذا المقام سيأتي معنا إن شاء الله في الحديث عن معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

قال: والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ البقرة: ٢١.

هذا أول أمر يمر بك أثناء قراءتك القرآن في سورة البقرة، وهو الأمر بعبادة الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يعني: اعبدوا إلهكم وخالقكم ومعبودكم سبحانه وتعالى، فالذي خلقنا وخلق من قبلنا هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ البقرة: ٢٢.

أي: لا تجعلوا مع الله عز وجل آلهة أخرى، وهذا ورد في آيات أخرى كلها تدل على أنه لا يجوز أن يتخذ لله سبحانه وتعالى ندّ يُعبد من دون الله عز وجل أو يُصرف له أي نوع من أنواع العبادة التي لله سبحانه وتعالى.

قوله: (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ):

الذي خلق السماء والأرض والجبال والشجر والدواب، والذي خلق الليل والنهار والكواكب وجعلها تسير بانتظام عجيب هو عز وجل المستحق لكل هذه الأنواع من العبادة، وهذا التفسير لابن كثير -رحمه الله- يبين لنا الأثر الذي يحدثه التفكر في خلق الله، وهو معرفتنا بأنه وحده المستحق للعبادة؛ ولهذا تعجب أشد العجب ممن يعبد غير الله من

الأصنام والأوثان والقبور والأضرحة ويصرف لها أنواع العبادة التي هي لله عز وجل وحده.

الدرس الخامس

قال المصنف - رحمه الله-:

(وأنواع العبادة) التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان ، والإحسان ، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، الاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها (كلها لله) والدليل قوله تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) سورة الجن آية ١٨ .

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالى : (ومن يدعو مع الله إلها ء اخر لابرهن له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)

سورة المؤمنون آية ١١٧. وفي الحديث " الدعاء مخ العبادة "[١] والدليل (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) سورة غافر آية ٦٠ .

ودليل الخوف قوله تعالى : (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) سورة آل عمران آية ١٧٥ .

ودليل الرجاء قوله تعالى : (... فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) سورة الكهف آية ١١٠ .

ودليل التوكل قوله تعالى :(...وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) سورة المائدة آية ٢٣

(...ومن يتوكل على الله فهو حسبه ...).

سورة الطلاق آية ٣ .ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : (..إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) .

ودليل الخشية قولة تعالى :(...فلا تخشوهم واخشون ...) الآية سورة المائدة آية٣ .

ودليل الإنابة قوله تعالى : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ...) الآية سورة الزمر آية ٥٤ .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١)، والطبراني في الأوسط (٣١٩٦)، من حديث أنس رضي الله عنه، وضعفه الترمذي فقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة"، وهو في ضعيف الترغيب والترهيب (١٠١٦).

(٢)

العناوين الرئيسية المتن المسائل

ودليل الاستعانة قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) الفاتحة آية ٥. وفي الحديث " إذا استعنت فاستعن بالله " .

ودليل الاستعاذة قوله تعالى : (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) . ودليل الاستغاثة قوله تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم)

الآية سورة الأنفال آية ٩ . ودليل اذبح قوله تعالى :(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) سورة الأنعام آية ١٦٢، ١٦٣ .

ومن السنة " لعن الله من ذبح لغير الله" ودليل النذر قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) سورة الدهر آية ٧ .

قال: (وأنواع العبادة التي أمرنا الله بها):

تعريف العبادة:

العبادة لها عدة تعاريف، من أفضلها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، والتعريف هنا له أثر في كل ما سيأتي من الحديث عن أنواع العبادة، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة).

هذا من أعظم التعاريف، وهو يدلك على أمور:

الأمر الأول: أن الأمر إذا ثبت أنه عبادة فلا يجوز أن يصرف لغير الله سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ الزمر: ٢، وكما قال عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥.

الأمر الثاني: دل هذا التعريف على أن العبادة أنواع، فهناك عبادات ظاهرة وهناك عبادات باطنة.

العبادات الظاهرة كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات الظاهرة.

أما العبادات الباطنة فهي عبادات القلب.

ولهذا يقول العلماء: إن العبادات أنواع، منها:

١- العبادات القولية: ما يتلفظ به العبد.

٢- العبادات العملية: ما يفعله بجوارحه.

٣- العبادات القلبية: هي ما في قلب الإنسان.

أو يقال: إن العبادات على نوعين:

النوع الأول: العبادات القولية.

النوع الثاني: العبادات العملية.

ويراد بالقولية نوعان:

النوع الأول: قول اللسان.

والنوع الثاني: قول القلب.

ما المقصود بقول القلب؟ المقصود بقول القلب نيته.

وكل التقاسيم صحيحة، وهي اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

وقد ذكر -رحمه الله- هنا سبعة عشر نوعًا للعبادة:

نبدأ بالنوع الأول، قال: (أنواع العبادة مثل الإسلام) وسيأتي تفصيله، (والإيمان) وسيأتي تفصيله، (والإحسان) وسيأتي تفصيله.

مسألة: منهج الشيخ -رحمه الله- في ذكره لهذه الأنواع من العبادة:

أولاً: قرر -رحمه الله- في البداية أن الأمر إذا ثبت أنه عبادة فلا يجوز أن يصرف لغير الله عز وجل.

ثانيًا: بعد ذلك يأتى بأنواع من العبادات والدليل على كل نوع على أنه عبادة؛ من أجل أنه إذا ثبت أنه عبادة يعود إلى الأصل وهو أنه لا يجوز أن تصرف لغير الله سبحانه وتعالى.

أنواع العبادة:

كل العبادات التي أوردها الشيخ -رحمه الله- أتى بها بشكل مختصر، بينما في كتاب التوحيد عقد لها أبوابا كاملة وفصل فيها تفصيلا أكثر وجمع نصوصا أكثر، لعلنا إن شاء الله أثناء شرح كتاب التوحيد نفصل في المقام بشكل أكبر.

قال -رحمه الله تعالى-: (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ):

بعدما بين المصنف أن الله هو المعبود، وأن الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، وأننا إذا آمنا بتوحيد الربوبية فإنه لا بد أن يدعونا إلى أن نوحد الله عز وجل في عبادتنا.

العبادة الرابعة: الدعاء:

قال رحمه الله: (وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ):

هذا النوع الرابع من أنواع العبادة التي ذكرها رحمه الله، والدعاء من أعظم العبادات التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، ومعناه: التضرع لله عز وجل.

وقد ورد في الحديث الصحيح عند أصحاب السنن عن النعمان بن بشير أنّ النبي ﷺ قال: **(الدعاء هو العبادة)**، ثم تلا قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر: ٦٠[١]. وسيأتي معنا الحديث الآخر: **(إن الدعاء مخ العبادة)**[٢]، وهذا حديث رواه الترمذي وهو ضعيف الإسناد لا يصح عن النبي ﷺ، لكن معناه صحيح، وقد دل عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام: **(الدعاء هو العبادة)**.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٦٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الحاكم (١٨٠٢)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٢٧).

(٢) تقدم تخريجه.

العناوين الرئيسية المتن المسائل

والدعاء من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل، يقول النبي ﷺ: **(من لم يسأل الله يغضب الله عليه)**[(١)]، بل إن مما يذل القلب ويجعله منقادا لله عز وجل أن يكثر الدعاء والإلحاح على الله بالدعاء، قالت عائشة رضي الله عنها: (سلوا الله جميع حاجاتكم حتى شسع النعل؛ فإن الأمر إذا لم ييسره الله سبحانه وتعالى لم يتيسر)[(٢)]. ففي هذا فيها دليل على أن الدعاء من العبادات العظيمة التي يجب أن يتقرب العبد بها لله سبحانه وتعالى.

والدعاء على نوعين:

النوع الأول: دعاء المسألة.

والنوع الثاني: دعاء العبادة.

دعاء المسألة: هو أن تسأل الله عز وجل وتتضرع بسؤالك جميع حوائجك وأمورك، كقولك: اللهم أغثنا، اللهم فرّج عنا. هذا هو دعاء المسألة، قال عز وجل: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ**﴾ النمل: ٦٢، وقال عز وجل: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ غافر: ٦٠.

دعاء العبادة: وهو ما يتقرب به العبد إلى الله من الصلاة والصيام وغيرها من أنواع العبادة، فكلها تندرج ضمن حديثنا عن أقسام الدعاء.

وبسبب عدم فقه هذا المعنى وقع بعض المسلمين في بعض الأخطاء، فالذين يذبحون لغير الله وينذرون لغير الله إذا قلت لهم: لا يجوز الذبح والنذر لغير الله، قالوا: لا يجوز الدعاء أما الذبح والنذر فهذا جائز؛ لأن الله قال: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٢، ٤٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم (١/ ٤٩١)، وهو في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

(٢) رواه أبو يعلى (٤٥٦٠)، والبيهقي في الشعب (١١١٩).

www. rashed. ws

نقول: أكملوا الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فسمى الدعاء هنا عبادة، فهذا دليل على أن الدعاء عبادة، وأنه لا يجوز أن يصرف لغير الله سبحانه، والدليل على أنه لا يجوز أن نصرف أحد نوعي الدعاء لغير الله هذه الآية.

العبادة الخامسة: (وَالْخَوْفُ):

تعريف الخوف:

من المناسب أن أبين لكم أن هناك مجموعة من العبادات تسمى عبادات قلبية مثل: الخوف والرجاء والتوكل وغيرها، هذه العبادات القلبية لا نستطيع أن نحدها بحد جامع مانع، وإنما نستطيع أن نبينها بآثارها.

فنقول لك: الخوف هو توقع حصول مكروه، أو نحو ذلك، لكن في النهاية هو أثر من آثار الخوف وليس هو الخوف ذاته، فالأعمال القلبية لا نستطيع أن نعرفها بحد جامع مانع، وإنما نستطيع أن نعرفها بآثارها التي تظهر على النفس.

والخوف من العبادات العظيمة، وقد دل القرآن والسنة على أنها عبادة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥.

فنهى هنا وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وأمر فقال: ﴿وَخَافُونِ﴾، والأمر به دليل على أنه محبوب لله عز وجل. وقد قلنا في تعريف العبادة: إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فكون أن الله عز وجل أمر به فهذا دليل أنه محبوب لله عز وجل.

ثم قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا الدليل الثالث على أن الخوف عبادة، وهو أن الله عز وجل جعل الخوف منه سبحانه وتعالى شرطا لحصول الإيمان للعبد.

فإذا ثبت أن الخوف من أنواع العبادة فلا يجوز أن يصرف لغير الله سبحانه وتعالى.

أنواع الخوف:

للخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف السر:

وهذا النوع لا يجوز صرفه لغير الله سبحانه وتعالى، لا لملك ولا لنبي ولا لجني، وهو خوف التأله والتعبد، بحيث يقوم في قلبك أن من تخاف منه قادر على جلب الضر ودفع

النفع عنك، وهذا ليس إلا لله سبحانه وتعالى، وقد كان قوم هود يخوّفون نبيهم فيقولون له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ هود: ٥٤.

وهذا دليل على أنهم كانوا يخافون من هذه الآلهة كخوفنا من الله عز وجل.

إذًا خوف السرّ يجب أن تكون خالصًا لله عز وجل، وهذا يجعل في قلب العبد قوة، فإذا لم يكن في قلبك خوف إلا من الله سبحانه وتعالى فإن البشر يتلاشون أمامك، ومن استطاع أن يجعل البشر يتلاشون أمامه ولا يرى إلا الله عز وجل في خوفه وفي رجائه وفي توكله وفي رغبه ورهبه فإن هذا يبعث الطمأنينة في قلبه، وهو ثمرة من ثمار التوحيد التي نأمل أن نحصل عليها من خلال حديثنا عن توحيد الله عز وجل.

النوع الثاني: الخوف المحرم:

وهو أن يمنع الإنسان من أداء واجب عليه كصلاة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، الخوف من الناس مع عدم الضرر به، فيترك الإنكار على الناس ويعرف أن هذا محرم، ويعلم أنه لو أنكر عليهم لما لحقه شيء، لكن الذي منعه الخوف منهم، فهذا النوع محرم، وكذلك الخوف من العدو الذي يمنع من الجهاد في سبيل الله ويكون في المعركة أيضا، هذا من النوع المحرم.

النوع الثالث: الخوف الطبيعي:

مثل أن يخاف الإنسان من سبع خرج عليه، أو يخاف من حية خرجت عليه. وهذا خوف طبيعي جائز، يقول الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ القصص: ٢١، فمعنى هذا أنه لا يقدح في التوحيد، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ طه: ٦٧. ومن ذلك الخوف من الموت قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ ومن الخوف طبيعي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ طه: ٤٥.

العبادة السادسة: (وَالرَّجَاءُ):

والرجاء هو: حسن الظن بالله سبحانه وتعالى.

ويجب أيضا أن يكون خالصا لله عز وجل، والدليل على أنه عبادة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف: ١١٠، قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ فدل على أن هذا الرجاء محبوب عند الله سبحانه وتعالى، إذًا فهذا عبادة من العبادات.

وللرجاء صورة شركية: أن يذهب إلى أحد القبور ويمكث عنده ويرجو صاحب هذا القبر أن يجلب له النفع أو يدفع عنه الضر، ويحسن ظنه به، وهو لا يضر ولا ينفع، ولا يستطيع جلب النفع لنفسه فضلا عن دفع الضرر عن الآخرين، فهذا النوع من الرجاء يكون شركا بالله عز وجل، وبعض العلماء يسميه رجاء السر.

وقد عقد ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين فصلا أسماه: (منزلة الرجاء)، وهو من منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)، ذكر فيها مباحث كثيرة، وقال: إن الرجاء قد يكون مذمومًا، وقد يكون ممدوحًا، فالرجاء الممدوح هو الذي يكون معه عمل، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، والرجاء المذموم هو الذي يكون كالأماني والأحلام، ولا يعقبه عمل للإنسان، وقد فصل الشيخ -رحمه الله- تفصيلا كبيرًا في هذه المسألة ليس المقام مقام بسطه.

العبادة السابعة: (وَالتَّوَكُّلُ):

التوكل هو تفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، وهو عبادة من العبادات العظيمة التي تكون في قلب الإنسان، ولها أثر كبير في حياته، والقلب الموحد لله عز وجل هو الذي يتوكل على الله ولا يتوكل على غيره سبحانه وتعالى.

والتوكل من الأعمال القلبية، والدليل على أنه عبادة قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ المائدة: ٢٣. وهنا قاعدة في علم البلاغة: أنه إذا تقدم ما حقه التأخير فإنه يفيد الحصر والقصر والاختصاص، قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ ولم يقل: (فتوكلوا على الله)، فتقديم الجار على المجرور يفيد الحصر، وهذا دليل على أنه عبادة،

ويجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ الطلاق: ٣، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ الشورى: ١٠، وغيرها من الأدلة التي تثبت أن هذه العبادة محبوبة ومرضية عند الله عز وجل؛ ولهذا فلا يجوز صرفها لغير الله.

في بعض الطرق الصوفية وغيرها يأتي الشيخ ويقول لمريده: إذا كنت في ضائقة فاذكرني فإنني أعينك، فإذا حلت به ضائقة تذكر شيخه وتوكل عليه؛ لأنه قام في قلبه تعظيم هذا الشيخ، فيظن أنه قادر على أن يزيح هذا الأمر عنه.

إذًا هذا النوع لا يجوز صرفه لغير الله سبحانه وتعالى.

أنواع التوكل:

للتوكل أنواع:

١- توكل السر، وهو أن يعتمد على المخلوق كاعتماده على الخالق؛ لاعتقاده أنه يجلب النفع ويدفع الضر.

٢- التوكل على المخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، وهذا جائز أن تستعين بشخص على أن يقضي لك حاجة وهو قادر، فهذا جائز بشروط ثلاث: الأول: الحياة، الثاني: القدرة، الثالث: أن يكون حاضرا يستمع لهذا الأمر الذي تريده منه.

والبعض يبحث هنا مسألة التوكيل كما فعل الرسول ﷺ من توكيله لعماله على جمع الصدقة ونحو ذلك، وهذا باب مختلف عن الباب الذي نحن فيه، وهو باب التوكل الذي هو من أعمال القلوب.

هل يجوز أن يقول الشخص: توكلت على الله ثم عليك؟

إذا ثبت أن التوكل عبادة قلبية فلا يجوز أن تقول: توكلت على الله ثم عليك، وهذا رأي الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-، لكن بعض العلماء يجيزها بناء على الظاهر، يقول: الناس لا يقصدون العمل القلبي الذي قام في أذهانكم، وإنما يقصدون المعنى الظاهر، فأجازوه بناء على ذلك.

فمن أجازها فبناء على العمل الظاهر، ومن منعها فبناء على أنه عمل القلب، وكلا القولين صحيح.

والتوكل لا يتم للإنسان إلا بأمرين:

الأول: تفويض الأمر إلى الله.

والثاني: أن لا يقوم السبب بقلبه بعد عمله، يعني: بعد أن يتم الأمر لا يقوم بقلبه أنه بسبب ذلك الأمر، بل الذي يقوم بقلبه أن الله عز وجل هو الذي فعل هذا الأمر.

حكم وضع الحلقة والخيط:

إذا وضع الحلقة أو الخيط وهو يظن أن هذا الخيط بذاته يجلب نفعا أو يدفع ضرا فهذا شرك أكبر؛ لأنه أشرك بها مع الله عز وجل، وإذا ظن أن هذا الخيط سبب في جلب النفع ودفع الضر فهذا شرك أصغر؛ لأن هذا الخيط لم يجعله الله سببًا شرعًا وليس هو سببًا حسيًّا يجلب للإنسان الخير ويدفع عنه الشر.

العبادة الثامنة والتاسعة والعاشرة: (وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ):

هذه ثلاثة أنواع من العبادات:

فالرغبة هو رجاء خاص، وهو تمني حصول الشيء.

والرهبة هو خوف خاص، يعني هو أشد من الخوف، وهو تمني زوال الأمر الذي تخاف منه.

والخشوع هو الذل والتطامن.

وهذه الأمور الثلاثة دل على أنها عبادة قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الأنبياء: ٩٠، وهذا في معرض الثناء على أنبياء الله عز وجل، وهو دليل على أن هذه الأمور الثلاثة محبوبة لله عز وجل، وإذا كانت محبوبة فإنها عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله.

وحينما تتأمل إلى حال الناس عند الأضرحة وعند القبور ترى صرف هذه العبادة لغير الله، وقد رأيتهم بأم عيني تجد الناس وقد تعلقوا بأستار القبور والأضرحة وبهم من الرهبة والخشية والخشوع والخوف والتبتل والخضوع ما لا يفعله الإنسان وهو يصلي لله عز وجل، وهذا دليل على أن لدى البعض خللا كبيرًا في اعتقادهم بسبب ما يحدثونه عند الأضرحة والقبور، وهو كثير جدا في السودان وفي المغرب وفي مصر وفي بعض البلاد العربية، تجد هذا –وللأسف- بشكل ملموس يلمسه الناس جميعا.

ذكر لنا شيخنا الشيخ صالح آل الشيخ قصة في هذا الأمر، يقول: كان أحد طلبة العلم في مصر قريبًا من مسجد البدوي، فمر طفل فقير، فطلب صدقة فأعطاه، فأقسم عليه بالبدوي أن يزيده من هذه الصدقة، قال له طالب العلم: أعطني المال، فظن أنه سيعطيه زيادة، فأخذها ووضعها في جيبه وقال: ما دام أنك تقسم بغير الله فلن أعطيك هذه الصدقة. يقول: فسرنا فكان سائق التّكسي يقول ونحن في الطريق: استر استر، فقلت: ما بك؟! قال: الطفل يقسم عليك بالبدوي وأنت لا تبرّ بقسمه سيحلّ بنا غضبه، يقول: ونحن في الطريق وهو يخشى أن يصدم، فلما وصلنا للمكان الذي نريده قلت له: أرأيت؟! لم يحدث شيء، قال: هذا لأن البدوي حليم.

وهذا دليل على أن هذا الأمر مستقرّ في الذهن، وأننا بحاجة عظيمة إلى تصحيح وبيان هذه المفاهيم الخاطئة.

العبادة الحادية عشرة والثانية عشرة: (الْخَشْيَةُ وَالإِنَابَةُ):

الحديث عن الخشية قريب من الحديث عن الخوف.

أما الإنابة فمعناها الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وهي عبادة عظيمة من العبادات التي تعبّد بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال عز وجل: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ هود: ٨٨، وما دام أنها محبوبة ومرضية عند الله فلا يجوز أن نصرفها لغير الله عز وجل.

العبادة الثالثة عشرة: (الاسْتِعَانَةُ):

الاستعانة: هي طلب العون، والأصل أن طلب العون يكون من الله سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ الفاتحة: ٥، وهنا تقدم ما حقه التأخير، فأفاد الحصر، وهذا دليل على أنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله.

مسألة: متى يجوز الاستعانة بالبشر؟

يجوز الاستعانة بالبشر بثلاثة شروط:

١- الحياة.

٢- والقدرة.

٣- وأن يكون حاضرا.

ولهذا لا يجوز طلب الإعانة من أصحاب القبور ونحوهم؛ لأنهم لا يقدرون على جلب نفع ولا على دفع ضر، وهم بحاجة لمن يدعو لهم ويستغفر الله عز وجل لهم.

العبادة الخامسة عشرة والسادسة عشرة: (الاسْتِعَانَةُ والاستغاثة):

الاستعانة والاستغاثة كلها تدل على الطلب، فالسين والتاء تدل على الطلب، أي: طلب الإعانة وطلب الإغاثة، وأحيانًا تدل على الفعل كما قال الله: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ التغابن: ٦، يعني: وغني الله وليس طلبا للغنى.

إذن هذا معنى الاستعانة والاستغاثة.

والاستغاثة عبادة يجب أن تكون خالصة لله، كما قال عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٩، فدل على أن الاستغاثة مرضية عند الله، وأن الله عز وجل أجاب استغاثتهم، وكونها مرضية دليل على أنها عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله.

العبادة السابعة عشرة: (الاستعاذة):

الاستعاذة: هي طلب العوذ، قال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ الناس: ١، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ الفلق: ١، وكونها محبوبة ومرضية عند الله عز وجل لأنك تستعين بالله عز وجل، وأيضا تستعيذ به سبحانه وتعالى، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ النحل: ٩٨.

ما الفرق بين الاستعاذة واللياذ؟

الاستعاذة: طلب دفع الشر، واللياذ: طلب جلب الخير، ولهذا يقول البوصيري في قصيدته المشهورة:

يا من ألوذ به فيما أؤمّله ومن أعوذ به فيما أحاذره

وكلاهما عبادة يجب أن نخلصها لله عز وجل كما ذكرت لكم في الأدلة.

العبادة الثامنة عشرة: (الذبح):

الذبح: من العبادات العظيمة التي يجب أن يفرد بها رب العالمين عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ الأنعام: ١٦٢،

ونسكي: كما في تفسير ابن جرير -رحمه الله- وابن كثير وغيرهم من أهل العلم أن المراد به الذبح، والمراد هنا النحر والذبح، فكلاهما يجب أن يكون خالصًا لله عز وجل.

والذبح في الأعم يطلق على الغنم، والنحر للإبل تضرب في وهدتها ثم تميل بالسكين وينتشر الدم، وكذلك يُفعل مع البقر.

فالذبح والنحر يجب أن تكون خالصا لله عز وجل، وهما من العبادات العظيمة كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: **(وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا)**[(١)].

وبهيمة الأنعام التي تُذبح لغير الله عز وجل لا يجوز أكلها، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ المائدة: ٣، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ البقرة: ١٧٣.

أنواع الذبح:

النوع الأول: ذبح التعظيم، وهذا لا يجوز إلا لله تعالى، ولا يجوز صرفه لغير الله.

النوع الثاني: ذبح الإكرام للضيف، وهو أمر قد يكون مباحًا، وقد يكون مندوبًا، وقد يكون واجبًا، وهي من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ الذاريات: ٢٦، والكرم مرغب فيه في سنة النبي ﷺ.

ما الفرق بين الذبح لإكرام الضيف وبين الذبح لتعظيم الضيف؟

ذكر ابن عابدين -رحمه الله- وهو من علماء الحنفية في الدر المختار، يقول: الفرق أنه إذا ذبحها إكراما للضيف فإن الضيف يأكل منها، أما إذا ذبحها أمامه وأطعمها للفقراء والمساكين فهذا دليل على أن هذا الذبح إنما ذبح من أجل التعظيم، فيكون محرمًا ولا يجوز الذبح لتعظيم الآخرين.

بعض العلماء يذكر أنواعا من الذبح، كالذبح الذي يجعله الإنسان لأكله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِن

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣١٢٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم (٧٥٢٣)، وتعقبه الذهبي، وهو في السلسلة الضعيفة (٥٢٦).

أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ النحل: ٨٠، وهذه من الأمور المباحة، لكن ما يهمنا هو النوع الأول وهو الذبح من أجل التعظيم، فيجب أن يكون خالصا لله، وذبح الإكرام هو من الأمور المباحة أو المستحبة وأحيانا يكون واجبًا.

العبادة التاسعة عشرة: (النذر):

النذر أيضا من العبادات التي يجب أن تكون خالصة لله، ولا تُصرف لغير الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن صفات المؤمنين: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾** ﴾ الإنسان: ٧، وفي هذا ثناء من الله على المؤمنين لوفائهم بالنذر، وهذا دليل على أنه محبوب لله سبحانه وتعالى، وإذا كان محبوبا لله فهو قربة وعبادة، وإذا كان قربة وعبادة فلا يجوز أن تصرف لغير الله سبحانه وتعالى.

وهنا مسائل:

المسألة الأولى:

ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: **(إنه لا يردّ شيئا، وإنما يستخرج به من البخيل)**[(١)]، فكيف نجمع بين هذا وبين ثناء الله على الموفين به في هذه الآية؟

ولبيان هذا لا بد من معرفة أنواع النذر:

النوع الأول: النذر المطلق.

النوع الثاني: النذر المقيد.

(١) رواه البخاري (٦٢٣٤، ٦٣١٤، ٦٣١٥)، ومسلم (١٦٣٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

العناوين الرئيسية ■ المتن ■ المسائل ■

النذر المطلق: هو أن يقول: لله علي أن أقوم الليل، لم يقيّدها بشيء، فهذا النذر هو الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ الإنسان: ٧.

النذر المقيد: وهو أن يقول: إن شفى الله مريضي صمت ثلاثة أيام، هذا الذي قال فيه النبي ﷺ: **(إنما يستخرج به من البخيل)**؛ لأنه جعله في مقابل النعمة، إن شفى الله مريضي فسأقوم بصيام ثلاثة أيام، كأنه بخيل بعبادته ولا يؤدي هذه العبادة إلا في مقابل النعمة، فهذا الذي نهى عنه النبي ﷺ.

فالنذر المطلق هو الذي قال الله فيه: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾، وهو الذي أثنى الله على المؤمنين بالوفاء به، وهو من العبادات التي يفعلها المسلم، لكن أيضا يجب على المسلم أن يحرص على أن يؤدي العبادة بدون أن يكون الباعث عليها النذر.

صور النذر الشركي:

ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أن هناك صورًا لصرف هذه العبادة لغير الله، ومن ذلك ما يحدث عند أصحاب القبور والأضرحة والأصنام والأوثان، يقول أحدهم: إن شفى الله مريضي فلِلَّه عليّ نذر للولي فلان، ونحو ذلك، فهذا شرك لأن النذر عبادة ولا يجوز أن يصرف لغير الله، وقد يكون شركا أصغر إذا كان يعتقد أن هذا المريض لن يُشفى إلا إذا نذر، وتعلمون أن الشرك الأصغر هو: أن تجعل سببًا لم يجعله الله سببًا، فهنا إذا كنت تظن أن هذا النذر هو الذي يشفيه فأنت تجعل سببًا ما لم يجعله الله سببًا، وهذا من الشرك الأصغر.

وعبادة النذر والذبح من العبادات التي يكثر صرفها لغير الله سبحانه وتعالى، فترى الناس ببهائمهم وأبقارهم وإبلهم يسوقونها إلى الولي فلان وإلى الضريح فلان، من أجل جلب النفع ودفع الضر ونحو ذلك، وهذا كله يدلك على غربة التوحيد، وعلى قلة أهله، وعلى ضعف الناس في تبليغه، نسأل الله أن لا يؤاخذنا بتقصيرنا ولا بما فعل السفهاء منا.

قال المصنف -رحمه الله-: (وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٧.

هذه بعض أنواع العبادة، وليست جميعها، بل هي نماذج للعبادة التي لا يجوز أن تصرف لغير الله سبحانه وتعالى.

وبين -رحمه الله- أن من صرف منها شيئًا لغير الله فقد كفر وأشرك، والشرك عاقبته وخيمة كما تقدم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ النساء: ٤٨، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾﴾ الحج: ٣١، وغير ذلك من الآيات التي تدل على خطر الشرك، وقد قال ﷺ: **(إن أكبر الكبائر أن تجعل لله ندا وهو خلقك)**[(١)].

فمن صرف شيئًا منها لا يشترط أن يصرفها جميعًا إنما شيئًا منها ولو كان قليلا فقد كفر وأشرك.

﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، قوله (أحدا) هنا نكرة في سياق النهي، والنكرة في سياق النهي تعم، سواء كان هذا الأحد ملكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو غيره، فلا يجوز أن يصرف له شيء من أنواع العبادة التي لله عز وجل.

ثم بعد ذلك سرد الشيخ راحمه الله الادلة على ما سبق وقد تحدّثنا عنها، وبينا وجه الشاهد من كل دليل.

وكل أمرٍ أَمَر الله عز وجل به سواء كان عبادة قلبية أو عبادة ظاهرة، وسواء كانت بالجوارح أو بالقلب أو باللسان، وهي محبوبة ومرضية عند الله عز وجل، فإنها عبادة، وإذا ثبت أنها عبادة وقربة فلا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى، وهذا هو تحقيق التوحيد الذي بعث به محمدًا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٧، ٤٤٨٣، ٥٦٥٥، ٦٤٢٦، ٦٤٦٨، ٧٠٨٢، ٧٠٩٤)، ومسلم (٨٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

العناوين الرئيسية | المتن | المسائل

www. rashed. ws

الدرس السادس

قال المصنف -رحمه الله-:

(الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة. وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران: ١٨.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده، و(لا إله) نافيا جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضّحها قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) الزخرف: ٢٦-٢٨، وقوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران: ٦٤.

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) التوبة: ١٢٨.

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة: ٥.

ودليل الصيام قوله تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة: ١٨٣.

ودليل الحج قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) آل عمران: ٩٧.

قال الشارح -حفظه الله-:

قال -رحمه الله-: (الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام):

المعرفة سبق أن تحدثنا عنها في أول هذه الدروس، وقلنا: إن هناك فرقًا بين العلم وبين المعرفة؛ ولذا فإن الله عز وجل من صفاته العلم ولا يقال: إن من صفاته المعرفة، لكن يجوز أن يطلق على الله سبحانه وتعالى هذا من باب الأفعال وليس من باب الأسماء ولا باب الصفات، وكما تقدم أن باب الأخبار أوسع من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وسيأتي مزيد بسط بإذن الله عز وجل في شرح الواسطية لهذه التفصيلات.

وقلنا: إنه يجوز الإخبار عن الله عز وجل بهذا لقول النبي ﷺ: **(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)**[1]، والعلم لا يشترط أن يسبقه جهل، ولذا وصف الله عز وجل نفسه به، أما المعرفة فيسبقها جهل؛ ولهذا قال -رحمه الله- هنا: معرفة دين الإسلام.

ما المقصود بدين الإسلام؟

الإسلام يطلق ويراد به الإسلام العام، ويطلق ويراد به الإسلام الخاص.

الإسلام العام هو: دين جميع الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام، فكلّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا إلى دين الإسلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ البقرة: ١٣٢-١٣٣، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ النحل: ١٢٠، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ آل عمران: ١٩، وقال سبحانه وتعالى عن بلقيس: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ النمل: ٤٤.

---

(١) هذا جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه: (إذا استعنت فاستعن بالله)، وقد تقدم تخريجه.

العناوين الرئيسية | المتن | المسائل

فهذه أدلة على أن الإسلام يطلق ويراد به الإسلام العام، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وما من كائن على هذه الأرض إلا وهو يندرج تحت الإسلام الكوني الذي قال الله عز وجل عنه: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ آل عمران: ٨٣، فكل من في السماوات والأرض قد أسلموا لله عز وجل طائعين أو مكرهين، بمعنى ذلوا وانقادوا لأمر الله ولإرادة الله ولقضاء الله وقدره، هذا هو الإسلام بالمعنى العام.

وهناك الإسلام بالمعنى الخاص، وهو الإسلام الذي بُعث به محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، والإسلام الذي ينجو به العبد هو الإسلام الذي أتى به محمد ﷺ، فلو قال قائل: إن الإسلام ما دام أنه هو دين الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام فبأي إسلام ينجو العبد؟ نقول: لا ينجو إلا بالإسلام الخاص الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام، وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **(والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)**[1]، والحديث يروى بروايات مختلفة.

والمقصود بقوله: **(لا يسمع بي أحد من هذه الأمة)** أي: أمة الدعوة؛ ولهذا عرفها فيما بعد فقال: **(يهودي ولا نصراني)**، فالأمة على نوعين:

أمة الدعوة: وهم الذين يُدعون للدخول في الإسلام، أي: كلّ من أرسل إليهم النبي ﷺ من الناس كافة.

وأمة الإجابة: وهم الذين استجابوا لدعوة النبي ﷺ، انضووا تحت لواء وراية محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

إذا الإسلام الذي ينجو به العبد يوم القيامة هو الإسلام بمعناه الخاص، وهو دين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ لأنه الدين الذي ختم الله عز وجل به الأديان السابقة، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ المائدة: ٣.

---

(١) صحيح مسلم (١٥٣).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

قال -رحمه الله تعالى-: (وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب):

ما معنى الإسلام؟

الإسلام في اللغة: هو الانقياد الذي لا يكون معه إباء ولا امتناع، كما يقول ابن فارس في مقاييس اللغة.

أما معناه الشرعي الاصطلاحي: فهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

فهذه ثلاثة أمور داخلة في تعريف الإسلام نقف معها وقفة قصيرة:

الأول: الاستسلام لله بالتوحيد، الإسلام والاستسلام لهما بنفس المعنى، وهو الانقياد والإذعان لأمر الله عز وجل، وكل من في هذه الأرض فهو مستسلم ومنقاد لأمر الله عز وجل إما كونا وإما شرعا، أما كونا فجميع من في هذه الأرض هم منقادون لأمر الله عز وجل، واما شرعا فهو الذي ينقاد اختيارًا لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

قال هنا: (الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد)، وخص التوحيد هنا لأنه هو الذي حصل فيه اللبس والخلل في هذه الأمة، وهو الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، والمراد بالتوحيد هنا توحيد العبادة، وهو توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية لم يكن فيه جولة ولا معركة بين الأنبياء وبين رسلهم عليهم أفضل الصلاة والسلام، بل لا يعرف أن أحدا أنكر توحيد الربوبية إلا ما كان من فرعون حينما قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ القصص: ٣٨، ولكن أخبر الله عز وجل أنهم كانوا يؤمنون بذلك قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النمل: ١٤، فهم في قرارة أنفسهم يعلمون أن الله هو الخالق وهو الرازق، ويقرون بهذا التوحيد.

وأيضا يقال: إن طائفة من السُّمنية أيضا أنكروا توحيد الربوبية، وهم القائلون: بأن للكون إلهين: إله الخير وإله الشر، إله الخير النور، وإله الشر الظلمة.

الأمر الثاني: قوله: (والانقياد له بالطاعة)، لا ينفع أن تستلم لله عز وجل بالتوحيد اسمًا، بل لا بد أن يكون مع هذا الإسلام والاستسلام لله بالتوحيد انقياد لله عز وجل بالطاعة، والمراد هنا: طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ لأن هذا الإسلام يستقي روحه وشرعه

من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والله عز وجل قال في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ النساء: ٥٩، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ النور: ٥٢، فالطاعةُ لله ولرسوله، ويكون معها انقياد وإذعان لله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥.

الأمر الثالث: قال: (والبراءة من الشرك وأهله)، وفي بعض النسخ يذكر: (والخلوص من الشرك)، والصحيح هي هذه النسخة التي بين أيديكم والتي فيها: (والبراءة من الشرك) لثلاثة أمور:

الأول: أن النسخ المعتمدة لكتاب الأصول الثلاثة والتي هي بخط الشيخ -رحمه الله تعالى- قد ذكر فيها: (والبراءة من الشرك).

الثاني: أن معنى البراءة أوسع من الخلوص، فالخلوص هو خلوص الشيء من غيره، وهو أنك تخرج من الشرك، بينما البراءة فيها خلوص وزيادة، وهو أنك تخرج من الشرك وتبغض أهله.

الثالث: أن الآية التي استدل بها الشيخ -رحمه الله- تدل على البراءة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦.

وقد ذكرنا لكم في أول هذه الدروس حينما قال الشيخ -رحمه الله-: (اعلم -رحمك الله- أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث مسائل:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا)، ثم ذكر الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وذكر الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، وتحدثنا هناك عن عقيدة الولاء والبراء، وعما يتعلق بها من مسائل.

فهذا هو الإسلام، لا بد فيه من ثلاثة أمور: الأول: الاستسلام لله بالتوحيد، الثاني: الانقياد له بالطاعة، الثالث: البراءة من الشرك، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

قال -رحمه الله تعالى-: (وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان):

هنا شرع المؤلف -رحمه الله- في بيان أنواع الإسلام.وهنا مسائل:

المسألة الأولى:

أحيانا في التقسيم يصح أن تجعل الشيء الذي تقسمه أحد أفراده، فالإسلام اسم عام، فحينما تأتي لتقسيم الإسلام يكون الإسلام أحد أفراده، تقول: الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه فائدة علمية لمن كان يبحث في رسائل الماجستير أو الدكتوراه، ويقدم بحثا علميا: أن الشيء يصح أن يكون هو أحد أفراده كما ذكر هنا رحمه الله.

هذه المراتب الثلاث تدل على أن دائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان، ودائرة الإيمان أوسع من دائرة الإحسان، والمشايخ -رحمهم الله- كانوا يشبهونها بدوائر ثلاث: الدائرة الأكبر وهي التي تتسع للناس جميعا، هي دائرة الإسلام، والدائرة الأضيق منها هي دائرة الإيمان، والأضيق منها هي دائرة الإحسان.

فقد يطلق على الشخص مسلم لكن لا يطلق عليه أنه مؤمن؛ لأنه لم يكمل شروط الإيمان كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات: ١٤.

المسألة الثانية:

الإسلام والإيمان من الأسماء التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، فإذا اجتمع الإسلام والإيمان في آية واحدة فيكون المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، ويكون المراد بالإيمان الأعمال الباطنة. وإذا افترقا فيكون الإسلام يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة، ويكون الإيمان يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة.

وهذا مهم جدا معرفته؛ لأنه يساعدك على فهم كلام الله سبحانه وتعالى وتنزيل المعاني الصحيحة على المراد من كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

والإسلام ثلاث درجات، فهي كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١٦٣، وذكر سبحانه وتعالى منهم السابق بالخيرات، ومنهم مقتصد، فالناس يختلفون في إيمانهم وفي قوته وفي ضعفه بحسب تطبيقهم لتعاليم هذا الدين والعمل بأحكام

شريعة رب العالمين، وبحسب ما يقوم في القلوب؛ ولهذا قيل عن أبي بكر: (ما سبقكم بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره).

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: (ترى الرجلين في الصلاة يصليان بينهما من الأجر كما بين السماء والأرض؛ وذلك بحسب ما يقوم في قلب كل منهما)، والنبي ﷺ قال: **(إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم)** رواه مسلم[١]، وقال ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)** متفق عليه[٢]، وقال ﷺ: **(ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)** متفق عليه[٣].

قال -رحمه الله-: (فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام):

الشيخ هنا قال: (أركان الإسلام خمسة)، لم يرد في القرآن ولا في السنة تسمية هذه الخمسة بأنها أركان الإسلام، كما لم يرد تسمية أركان الإيمان الستة في القرآن ولا في السنة بالأركان، وإنما ورد: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام)**[٤]، وورد أن الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله[٥]، لكن أهل العلم أطلقوا على هذه الخمسة: أركان الإسلام، وأطلقوا على الستة: أركان الإيمان؛ وذلك بتتبعهم واستقرائهم للنصوص الصحيحة، وهي تسمية صحيحة، لكن هي من المصطلحات التي أطلقها أهل العلم ولم تطلق في القرآن والسنة، وهي مصطلح صحيح؛ لأنه لا يعرف ما يخالفه من القرآن والسنة، وقد اتفق أهل العلم على إطلاق مصطلح الأركان للإسلام والإيمان.

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٢، ١٩٤٦)، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٨، ٤٢٤٣)، ومسلم (١٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

www. rashed. ws

قوله -رحمه الله-: (ودليل شهادة أن لا إله إلا الله قوله سبحانه وتعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}):

هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

قدم الشيخ -رحمه الله- الاستدلال على بيان المعنى لأنه سبق الحديث عنها في أول الكتاب، وأيضًا من أجل أن يمهد بالدليل للمعنى الذي يريد أن يقربه للطلاب.

ما معنى لا إله إلا الله؟

(لا إله إلا الله) تشتمل على نفي وإثبات، نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله عز وجل وحده لا شريك له.

والإله هو المعبود، من أله يأله ألوهة أي: عبد يعبد عبادة.

يقول الشاعر:

لله در الغانيات المدّهي   سبّحن واسترجعن من تألهي

يعني من عبادتي. فالإلهة بمعنى العبادة.

وهذا الاشتمال على النفي والإثبات دل عليه القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ النساء: ٣٦، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٥٦، وأيضا الآية التي استدل بها -رحمه الله-، وقال: تفسيرها الذي يوضح معناها ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ الزخرف: ٢٦، هذا فيه نفي، قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ الزخرف: ٢٧، وهذا فيه إثبات.

(ولا إله إلا الله) (لا) هنا تسمى (لا) النافية للجنس، و(لا) النافية للجنس في لغة العرب إذا كان خبرها معلومًا فإنهم يسقطونه كما قال ابن مالك:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر   إذ المراد مع معناه ظهر

إذا كان المعنى ظاهرًا وواضحًا فإنهم يسقطون خبر (لا) النافية للجنس.

ما تقديره؟

بعضهم يقول تقديره: لا إله موجود إلا الله، ونقول: هذا التقدير خطأ؛ لأن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ لم يكونوا ينكرون وجود الله، بل كانوا يعلمون أن الله هو الخالق والقادر، ويقرون بتوحيد الربوبية.

وقدره بعض أهل العلم بقولهم: لا إله حق إلا الله، وقالوا: هذا هو المناسب لأولئك القوم الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، فحينما نقول: لا إله حق إلا الله، فمعناه أن هناك آلهة لكنها تعبد بالباطل، كما قال الله عز وجل: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ** ﴾ الحج: ٦٢.

ومما يؤكد هذا المعنى ورود آيات في القرآن فيها كلمة (حق)، وهو قوله سبحانه وتعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**)، فدل على أن الصحيح أن يقدر خبر (لا) النافية للجنس بقولنا: حق، وبهذا يستقيم لنا المعنى في قول من قال: كيف يقال: (لا إله إلا الله) وهناك آلهة تعبد من دون الله؟! نقول: تلك الآلهة كانت تعبد بالباطل، والله عز وجل يعبد بالحق.

ومما يؤكد أن التقدير بالوجود تقدير خاطئ أنّ العرب الذين أنزل الله عز وجل عليهم هذا القرآن وبعث إليهم محمدًا ﷺ لم يكونوا ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾** ﴾ الصافات: ٣٥، بل إن النبي ﷺ حينما اجتمع المشركون عند أبي طالب وقالوا: يا أبا طالب، والله ما عدنا نطيق ما يفعله ابن أخيك، سفّه أحلامنا وعاب آلهتنا وسبّ ديننا، فإما أن يكفّ عنا أو ننازلك أنت وإياه حتى يهلك الله أحد الفريقين، فقال أبو طالب للنبي ﷺ مقالة قومه، قال: (**أريد كلمة واحدة إذا قالوها تدين لهم بها العرب وتدفع العجم لهم الجزية عن يد وهم صاغرون**)، فقال أبو جهل: نعطيك عشر كلمات، فقال النبي ﷺ: (**قولوا: لا إله إلا الله**)، فقال: ﴿ **أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾** ﴾ ص: ٥ [(١)].

إذن هذا هو المعنى في هذه الكلمة (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله.

---

(١) رواه أحمد (١/٢٢٧، ٣٦٢)، والترمذي (٣٢٣٢)، وأبو يعلى (٢٥٨٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وصححه ابن حبان (٦٦٨٦)، وهو في ضعيف سنن الترمذي.

وهناك من يفسر شهادة أن لا إله إلا الله بأن المراد بشهادة أن لا إله إلا الله توحيد الربوبية، وتجدون في بعض كتب الأشاعرة قولهم: (لا إله إلا الله أي: لا قادر على الاختراع إلا الله)، وكما يقول السنوسي في رسالته: (هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه)، وهذه كلها تعود وتنصب على معنى توحيد الربوبية.

وهنا ننبه على مسألة، وهي أن الأشاعرة لا يخالفون أهل السنة والجماعة فقط في باب الأسماء والصفات، بل لهم مخالفات كثيرة؛ ولهذا إذا أطلق مصطلح أهل السنة والجماعة في مقابل الرافضة والإمامية الاثني عشرية فالأشاعرة يدخلون في هذا الباب مع أهل السنة والجماعة، لكن إذا أطلق أهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح فإن الأشاعرة لا يدخلون في أبواب كثيرة: في باب التوحيد وفي بعض الأبواب لا يدخلون ضمن أهل السنة والجماعة.

ونشير إلى رسالة عظيمة ومفيدة للدكتور سفر الحوالي عن الأشاعرة، فقد فصل فيها تفصيلا عظيما، وأتى بالخلاف بين الأشاعرة وبين أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة ومسائل عديدة.

قوله عز وجل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨.

هنا شهد الله أن لا إله إلا هو؛ ولهذا قال -رحمه الله-: (دليل شهادة أن لا إله إلا الله)، ثم استدل بهذه الآية، وفيها دليل على أن الله عز وجل استشهد نفسه على أعظم مشهود فقال: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}، وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم فقال: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ}، وهذا دليل على شرف أهل العلم وعلى فضلهم ومنزلتهم، وأن الله عز وجل استشهدهم على أعظم مشهود وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

وهنا فائدة: وهو أن أهل العلم الذين استشهدهم الله على أعظم مشهود يجب أن يكون هذا المشهود هو أعظم أمر يبلغونه للناس وينشرونه بين الناس ويبينونه للناس؛ لأنها دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال -رحمه الله تعالى-: (وتفسيرها الذي يوضح معناها: {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ}، هذا يشمل النفي قال: {إِلا الَّذِي فَطَرَنِي}، وهو يشمل الإثبات {فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}):

ما هذه الكلمة الباقية في عقبه؟

قيل: هي الإسلام؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ البقرة: ١٣٢.

وقيل وهو الأظهر: إن المراد بهذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله.

وهذا من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد؛ لأن الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله.

قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الزخرف: ٢٨، يعني: في ذريته، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الله الواحد الديان.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤.

هذه الآية نزلت في وفد نصارى نجران حينما أتوا إلى النبي ﷺ وتواعدوا معه على المباهلة كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ آل عمران: ٦١، فلما تواعدوا مع النبي ﷺ لم يحضروا، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده، لو حلفوا لأحرقهم الله عز وجل بالنار)[١]، وأرسلوا إلى النبي ﷺ الجزية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٩٦) بمعناه.

فهذه الآية اشتملت على النفي وعلى الإثبات؛ ولهذا استدل الإمام -رحمه الله تعالى- بها، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾، فإن أبوا واستكبروا وأعرضوا فاثبتوا على دينكم، وأشهدوا أنفسكم بأنكم مسلمون مذعنون منقادون لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

قال: (ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ التوبة: ١٢٨):

شهادة أن محمدا رسول الله لا تنفصل عن شهادة العبد أن لا إله إلا الله؛ ولهذا قال ﷺ: (**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**) متفق عليه[(١)]. فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هي ركن واحد، وهذا يدل على عظم شهادة أن محمدًا رسول الله وعلى مكانتها.

قال: (ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾) هذا دليل على أن النبي ﷺ منا أي: من البشر، وهذا من فضل الله عز وجل ورحمته بنا أن أرسل إلينا رسولا منا؛ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي حينما سأله عن النبي ﷺ قال: (لقد بعث الله عز وجل إلينا رسولا منا نعرف نسبه وحسبه، ونعرف صدقه وأمانته)[(٢)]، فهذا لا شك أنه أفضل مما لو بعث إلينا رسولا من قوم آخرين لا نعرف نسبه ولا حسبه، ولا نعرف مدخله ولا مخرجه، فهذه نعمة وفضل من الله.

وأيضا لم يجعل الله عز وجل هذا النبي ملكا، بل جعله بشرا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾ الفرقان: ٧، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد (١/٢٠١)، والبيهقي في الشعب (٨٢)، وصححه ابن خزيمة (٢٢٦٠)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فقه السيرة (١١٥).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

﴿أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ۝٣٤﴾ المؤمنون: ٣٣-٣٤. فالأنبياء بشر مثلنا، ولو كانوا ملائكة لما استطعنا رؤيتهم، ولما استطعنا الحديث معهم، وغير ذلك من الأمور التي تحدث، لكن من فضل الله عز وجل ورحمته بنا أن جعل محمدًا ﷺ من أنفسنا، وفي بعض القراءات: (مِنْ أَنفَسِكُمْ) يعني: من أزكاكم وأطهركم وأعظمكم نسبا، وهو كذلك ﷺ.

وسيأتي تفصيل هذا في الأصل الثالث الذي استشهد به -رحمه الله- في هذا الكتاب.

قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، فهو يشقّ عليه ﷺ العنت والحرج الذي يصيبكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: حريص على هدايتكم، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨، وهذا من فضل الله عز وجل علينا.

فهنا وصف الله عز وجل نبيه ﷺ بالأوصاف التالية:

أولا: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

ثانيا: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

ثالثا: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾.

رابعا: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾.

خامسا: ﴿رَّحِيمٌ﴾، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وتتجلى رأفة النبي ﷺ ورحمته بهذه الأمة أنه لم يدع عليهم ﷺ، بل إنه لما نزل عليه ملك الجبال وقال: يا محمد، لقد سمع الله مقالتك وما أجاب به قومك، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، قال ﷺ: **(لا، ولكن أسأل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا)**(١).

معنى شهادة أن محمدا رسول الله:

قال: (ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع):

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٩، ٦٩٥٤)، ومسلم (١٧٩٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

بين -رحمه الله- معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، فكيف تعرف أنك تدين لله بشهادة أن محمدا رسول الله؟ ليس المراد هو التلفظ فحسب، بل لا بد أن يكون مع هذا التلفظ عمل، فالميزان الذي تعرف به شهادة أن محمدا رسول الله هو ما ذكره -رحمه الله-: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرعه رسول الله ﷺ.

بهذا يعرف العبد هل هو يشهد أن محمدًا رسول الله أو لا يدين بهذه الشهادة.

قوله: (طاعته فيما أمر):

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الحشر: ٧، وقد حذرنا النبي ﷺ من قوم يأتون في آخر الزمان يردون سنة النبي ﷺ ولا يقبلون إلا بالقرآن، فقال ﷺ: (**يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدَّث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله**) رواه الترمذي[(١)].

فأخبر النبي ﷺ عن خروج هؤلاء القوم، وقد تحدث العلماء عن هذه الطائفة، وهي الطائفة القرآنية، وكنت أظن أنها مرت في عصر من عصور هذه الأمة وانقضت، لكن من يتأمل مواقع الإنترنت يجد أنهم قد أطلوا برؤوسهم من جديد عبر خروجهم باسم الطائفة القرآنية، وأصبح لهم مواقع في الإنترنت، يردون سنة النبي ﷺ ولا يقبلون منها شيئا، والرد عليهم واضح بين في القرآن والسنة.

قوله: (تصديقه فيما أخبر):

كل ما أخبر به النبي ﷺ من أمور المغيبات وأمور الآخرة والجنة والنار وما يحدث للعبد بعد موته، كذلك ما أخبر به النبي ﷺ عما يحدث في آخر الزمان، يجب علينا جميعا أن نؤمن به، وقد دل على صدق النبي ﷺ الواقع والحسّ والشرع، فالآيات العظيمة تبين أن النبي ﷺ كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ النجم: ٣، وما أخبرنا النبي

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٦٤)، من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، ورواه أيضا أحمد (٤/ ١٣٢)، وابن ماجه (١٢)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، وصححه الحاكم (٣٧١)، وهو في صحيح سنن ابن ماجه (١٢).

ﷺ بشيء إلا وقع كما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام، وفي قصة انشقاق القمر التي قال الله عز وجل عنها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ القمر: ١، قالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقا فافلق لنا القمر فلقتين، فدعا الله عز وجل، فانفلق القمر إلى قسمين، وأصبحوا يرون القمر جزئين[(١)].

ثم بعد ذلك أتى بعدهم من أنكروا هذه الأحاديث والروايات، لكن العلم الحديث أثبت عبر الصور الأخيرة التي صورت للقمر أن هناك ما يدل على أن القمر في يوم من الأيام قد انفلق إلى نصفين، والحق ما شهدت به الأعداء، ومن يرى الصور لا يملك إلا أن يقول: الحمد لله الذي جعلنا من أتباع رسول الله ﷺ.

وابن مسعود رضي الله عنه كان إذا حدث يقول: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ﷺ.

ومن الأمور التي ننبه عليها أنه يخرج لنا بين الفينة والأخرى من يسمون بالعقلانيين، الذين لا يؤمنون إلا بما يدل عليه العقل، والرد عليهم يطول، لكن حينما يأتون إلى بعض النصوص التي وردت عن النبي ﷺ يردونها بحجة أن العقل لا يدل عليها ولا يوافقها.

وأذكر أنني كنت مع شخص في الطائرة فقال: يا أخي، هناك أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ في البخاري، أعتقد أنها مدسوسة ويستحيل أن النبي ﷺ يقول مثلها، وذكر مثالا على هذا، وهو قول النبي ﷺ لأبي ذر حينما غربت الشمس: **(يا أبا ذر، أتدري أين تذهب الشمس؟)** قال: الله ورسوله أعلم، قال: **(تذهب وتسجد تحت العرش، وتستأذن ويؤذن لها، وإنه يوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وأن تستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: عودي من حيث جئت، فتطلع الشمس من مغربها، فذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ يس: ٣٨)**[(٢)].

حينما يأتي النص في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ نقول: سمعنا وأطعنا، والرد على هؤلاء العقلانيين يطول كثيرا، ولعل فيما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى رحمة

---

(١) قصة انشقاق القمر رواها البخاري (٣٤٣٧، ٣٦٥٦، ٣٦٥٨، ٤٥٨٣، ٤٥٨٤)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

واسعة- في (درء تعارض العقل والنقل) ورده عليهم ما يغني، فقد أتى بنيانهم من القواعد، فخر عليهم السقف من فوقهم، فلم يستطيعوا جوابا لتلك الأدلة العقلية التي ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى- في الرد على من رد نصوص القرآن والسنة بعقله.

قوله: (واجتناب ما عنه نهى وزجر):

فما نهى عنه النبي ﷺ وما زجر يجب أن ننتهي عنه، والدليل على هذا ما روي في حديث أبي رافع الخشني، وهو من الأحاديث التي ذكرها الإمام النووي وعليها مدار الدين: **(إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا)** حديث حسن رواه الدارقطني وغيره[(١)].

وبهذا يستجيب العبد لله ولرسوله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤** ﴾ الأنفال: ٢٤.

قوله: (وأن لا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله):

فلا يجوز أن يعبد العبد ربه عز وجل بهواه، ولا بقول فلان أو غيره من الناس، بل يجب أن يعبد الله وفق ما شرعه رسول الله ﷺ؛ ولهذا حذر العلماء من البدع، والبدعة في أحسن تعاريفها ما ذكره الشاطبي -رحمه الله- في الاعتصام حيث قال: (طريقة في الدين مخترعة يقصد من السير عليها مضاهاة الشريعة).

فهذه الطريقة المخترعة في الشريعة لا يجوز للإنسان أن يتعبد الله سبحانه وتعالى بها، وقد ورد في صحيح البخاري ومسلم من حديث أمّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[(٢)]، وفي رواية لمسلم: **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)**[(٣)]، فمن أراد أن يتعبد الله فليعبد الله وفق ما شرعه رسول الله ﷺ حتى لو كان يريد الخير. بعض الناس يقول: أنا أريد الخير بهذه العبادة، أنا

---

(١) سنن الدارقطني (٤/١٨٣)، ورواه أيضا الطبراني في الكبير (٢٢/٢٢١)، والحاكم (٧١١٤)، وضعفه الألباني في غاية المرام (٤).

(٢) صحيح البخاري (٢٥٥٠)، صحيح مسلم (١٧١٨).

(٣) صحيح مسلم (١٧١٨).

أرى أنه أزكى لقلبي أن أفعل هذا الأمر، فنقول كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كم من مريد للخير لم يبلغه)[(١)].

وخير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثـات البدائع

وما مات ﷺ ولا طائر يطير في السماء إلا وقد أنبأنا من خبره عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فلا يجوز الابتداع في الدين، ويجب علينا أن نسير وفق منهج النبي ﷺ ووفق ما بينه الله لنا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال: (ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ البينة: ٥):

هذا الركن الثاني والثالث من أركان الإسلام، وهي الصلاة والزكاة، وقد استشهد رحمه الله تعالى على هذا الركن بقول الله سبحانه وتعالى في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وهذا هو المراد بالتوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، وقال: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، وعطفُ الصلاة والزكاة على التوحيد دليل على أهميتهما ودليل على مكانتهما، وقد قرن الله عز وجل بين الصلاة والزكاة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: (ويؤخذ من هذا أن سعادة العبد لا تتم في الدنيا إلا بأمرين: أن يؤدّي الحق الذي بينه وبين الله، ومن أعظم ذلك الصلاة، وأن يؤدي الحق الذي بينه وبين الناس، ومن أعظم ذلك الزكاة، فإذا ما أدى هذين الحقين فقد حصل هذا العبد على سعادة الدنيا والآخرة بإذن الله عز وجل).

---

(١) رواه الدارمي (٢٠٤).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

قال -رحمه الله-: (ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ البقرة: ١٨٣):

هذا دليل على أن الصيام ركن من أركان الإسلام، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾، (كُتِب) أي: فُرِض عليكم، ﴿ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ البقرة: ١٨٣.

وفي هذه الآية دليل على أن الصيام أيضا كان من الشرائع التي يتعبد بها من قبلنا، وأنه طريق ودليل على تقوى الله سبحانه وتعالى.

قال: (ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ آل عمران: ٩٧):

هذا الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج.

والحج يجب على المسلم في العمر مرة واحدة متى ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والاستطاعة فسرها العلماء بوجود الراحلة ووجود المال، فإذا كان العبد لديه قدرة بدنية يستطيع أن يذهب إلى الحج ويؤدي هذه المناسك ولديه قدرة مالية فإن الحج واجب عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قال بعض العلماء: إنّ ختم هذه الآية بالكفر المراد به أنّ من أنكر وجوب الحج فقد كفر. والعلماء -رحمهم الله- يقولون: من أنكر وجوب هذه الأركان فإنه كافر؛ لأن الله عز وجل أوجبها، لكن إذا ترك مثلا الصلاة كسلا وتهاونا ففيه الخلاف المشهور بين أهل العلم، وليس المجال هنا مجالَ بسطه والحديث عنه.

فهذه هي أركان الإسلام الخمسة التي أراد أن يبينها رحمه الله.

الدرس السابع

قال المصنف –رحمه الله- :

المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين) الآية البقرة: ١٧٧، ودليل القدر قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) القمر: ٤٩

(والدليل من السنة) حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ((قال بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه

وقال :يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال:أن تشهد أن لا إله إلا الله. وأن محمداً ﷺرسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال :

صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : أخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال: أخبرني عن الإحسان ؟ قال:أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: أخبرني عن الساعة ؟ قال :ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : أخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان قال : فمضى فلبثنا ملياً فقال :يا عمر أتدرون من السائل؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ،قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)) .

الإيمان له معنى في اللغة: وهو التصديق، أو التصديق الجازم، ومعناه في اللغة غير المعنى الشرعي.

وهنا ننبه إلى أشياء: أن حقائق الأسماء إما أن تكون لغوية أو شرعية أو عرفية. الناس يضعون اسما ويصطلحون عليه عرفا فيما بينهم، وقد يكون اصطلاحه اصطلاحا شرعيا، وقد يكون لغويا، فطالب العلم يجب أن يفرق بين هذه الاصطلاحات حتى يستطيع أن يستشهد ويستقيم له الاستدلال بالنصوص التي يريدها.

الإيمان له حقيقة لغوية وله حقيقة شرعية.

الحقيقة اللغوية للإيمان هي التصديق، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يوسف: ١٧.

والحقيقة الشرعية هي التي دل عليها القرآن والسنة، وهو أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان.

هذا هو تعريف الإيمان.

والتعريف الشرعي هنا مختلف عن التعريف اللغوي، ففيه تصديق وزيادة.

بعض أهل العلم حاول أن يجمع الآيات الواردة في القرآن ويستشهد بها ويستنبط منها ما يدل على المعنى اللغوي، وما يدل على المراد المعنى الشرعي، فقال: إن الإيمان في القرآن إذا عدّي باللام فغالبا أن المراد به المعنى اللغوي كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، وقال عز وجل: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ العنكبوت: ٢٦، وإذا عدي بالباء فيكون المقصود به المعنى الشرعي كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ البقرة: ١٧٧.

وبعض العلماء يقول: الإيمان قول وعمل واعتقاد، فلا بد للإيمان أن يشتمل على هذه الأمور الثلاثة: القول قول اللسان، والعمل عمل الجوارح، والاعتقاد عمل القلب.

وبعض السلف يقول: الإيمان قول وعمل، وهو بنفس المعنى السابق، حيث يقصد بالقول قول اللسان والقلب، ويعني بالعمل عمل القلب والجوارح، قول اللسان واضح، وقول القلب نيته، وعمل الجوارح هي الأعمال الظاهرة التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وعمل القلب هي العبادات القلبية التي يدين لله سبحانه وتعالى بها.

وهنا ننبّه أنه في الفترة الأخيرة كثر الحديث عن هذه المسألة مسائل الإيمان، وهي من المسائل التي أحدثت لبسا وإشكالا كبيرا؛ مما اضطر اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء لدينا في المملكة العربية السعودية أن تردّ على كثير من الكتب التي طرحت في الفترة الأخيرة والتي تحمل فكر الإرجاء، حيث يريدون إخراج العمل عن مسمى الإيمان، فيجعلون العمل شرطَ كمال لا شرط صحة، فمن قال بلسانه كلمات الإيمان واعتقد بقلبه فمهما عمل أو لم يعمل فإن العمل يفيده في الزيادة والنقصان، وهذا ضلال بين؛ لأن

الإيمان قد دلّ القرآن على أنه قول ودلّ على أنه عمل ودل على أنه أيضا اعتقاد. الله سبحانه وتعالى قال عن الصلاة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ البقرة: ١٤٣، فدل على أن الصلاة من الإيمان، فكيف نقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، أو نقول: إن الأعمال ليست شرط صحة وإنما هي شرط كمال؟! بل العمل شرط صحة وركن أصيل في الإيمان.

أما إخبار النبي ﷺ أن الله عز وجل يدخل الجنة من لم يعمل شيئا(١) فهذا يحمل على أقوام معينين، أو يحمل على أنه من الأحاديث المتشابهة ويرد إلى المحكم، فيتضح المراد بهذا الحديث.

الحاصل أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ولا يحصر الإيمان على القلب كما أن الكفر وهو نقيضه لا يحصر بكفر الجحود والتكذيب والاستحلال القلبي، وبإذن الله في دروس أخرى نفصل الحديث عن هذا الأمر، لكن أحببت التنبيه إليه لأن الكتب كثرت في الفترة الأخيرة، وقد ردت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على بعضها.

وللدكتور سفر الحوالي -شفاه الله وعافاه- رسالة نفيسة ومهمة وهي (حقيقة الإرجاء)، وهي رسالته الدكتوراه.

زيادة الإيمان ونقصانه وتجزؤه:

أيضا من المسائل المتعلقة بالإيمان أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص.

وأيضا من مسائل الإيمان المهمة أن الإيمان يتجزّأ، فقد يوجد لدى الرجل فسق ويوجد لديه طاعة، يوجد لديه إيمان ويوجد لديه معصية، أو يوجد لديه بعض المخالفات، لكن لا نستطيع أن نخرجه من اسم الإسلام، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة وهو التوسّط.

---

(١) كما في حديث الرجل الذي أوصى أبناءه إذا هو مات أن يحرقوه، قال النبي ﷺ: (قال رجل لم يعمل خيرا قط: فإذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم فغفر له) رواه البخاري (٧٠٦٧)، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

www. rashed. ws

فالخوارج إذا فعل العبد كبيرة فإنهم يخرجونه من الدين ويكفر بفعل الكبيرة، بينما المعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين لا ندخله في الإيمان ولا نطلق عليه الكفر، بل هو في منزلة بين منزلتين، وأهل السنة والجماعة هم الوسط في هذا الباب.

قال النبي ﷺ: (إن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[١].

هذا الحديث من أعظم الأحاديث الواردة في الإيمان؛ لأنه يدلك على الإيمان بثلاثة أشياء: أتى بالقول فقال: **(قول: لا إله إلا الله)**، فهذا دليل على أن القول من الإيمان، وقال: **(وإماطة الأذى عن الطريق)** وإماطة الأذى عمل، فهذا دليل على أن العمل من الإيمان، قال: **(والحياء شعبة من الإيمان)** وهذا عمل القلب.

ولهذا البيهقي -رحمه الله- وغيره حينما فصلوا شعب الإيمان قسموها بناء على هذه الأقسام الثلاثة: ما يتعلق بالقول، وما يتعلق بالقلب، وما يتعلق بالجوارح.

قال -رحمه الله تعالى-: (وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره):

أركان الإيمان ستة:

الركن الأول: الإيمان بالله:

ويندرج تحته الإيمان بالتالي:

أولا: الإيمان بوجود الله.

ثانيا: الإيمان بتوحيد الربوبية.

ثالثا: الإيمان بتوحيد الألوهية.

رابعا: الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

وقد تقدم تفصيل هذه الأمور في الدروس الماضية.

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: (وملائكته):

اتى بالملائكة بعد الإيمان بالله؛ لأن الأصل الإيمان بالله ثم الملائكة؛ لأنهم الواسطة بين الأنبياء وبين الله سبحانه وتعالى.

والإيمان بالملائكة على قسمين: إيمان إجمالي، وإيمان تفصيلي:

الأول: الإيمان الإجمالي: أن نؤمن بأن لله ملائكة يطيعون الله سبحانه وتعالى، ويأتمرون بأمره، ولا يعصون الله عز وجل، وأن أعدادهم لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. هذا هو الإيمان الإجمالي.

ثانيا: أما الإيمان التفصيلي فالإيمان بمن سمّى لنا الله عز وجل ورسوله منهم في القرآن والسنة، مثل جبريل وميكائيل، كما قال عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ البقرة: ٩٨.

والإيمان بما أخبرنا الله عز وجل من صفاتهم فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن جبريل عليه السلام كما في حديث النبي ﷺ: **(له ست مئة جناح)** رواه البخاري[(١)]. وأيضا من صفاتهم أنهم يتشكلون، فقد أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد. رواه مسلم[(٢)]. كما سيأتي بإذن الله عز وجل.

وأيضا الإيمان بما أخبرنا الله عز وجل من أعمالهم، فجبريل عليه السلام هو الملك الموكل بالوحي، وميكائيل هو الملك الموكل بالقطر والنبات، وهناك أيضا ملك الموت، وقد ورد في الكتب السابقة تسميته بعزرائيل، وأيضا هناك الملك الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل.

أيضا هم الذين يقومون بحماية الخلق كما قال عز وجل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ الرعد: ١١، يحفظونه من المصائب التي تحلّ بالإنسان، فلا تحل به إلا إذا شاء الله عز وجل وفي الوقت الذي يريده سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٠، ٤٥٧٥، ٤٥٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو عند مسلم أيضا (١٧٤).

(٢) صحيح مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

إلى غير ذلك من الأعمال التي أخبرنا بها النبي ﷺ، فنؤمن بها إيمانا تفصيليا.

وأيضا نؤمن بأن الله عز وجل خلقهم من نور كما قال النبي ﷺ: **(خلقت الملائكة من نور، وخلق الشيطان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)** يعني من تراب. رواه مسلم[(١)].

كما دل على ذلك القرآن ودل عليه سنة النبي ﷺ.

إذن هذا هو الإيمان بالملائكة الكرام الذين يطيعون الله سبحانه وتعالى، وأعدادهم لا يعلمها إلا الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ المدثر: ٣١، وأيضا يقول ﷺ عن البيت المعمور وهو بيت في السماء السابعة محاذ للكعبة في الأرض: **(يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه)** رواه مسلم[(٢)].

قوله: (وكتبه):

والإيمان بالكتب أيضا على قسمين: إيمان إجمالي، وإيمان تفصيلي:

الإيمان الإجمالي: الإيمان بأن الله عز وجل أنزل كتبا على رسله، وتصديق الرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأن آخرها القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب النبي ﷺ.

الإيمان التفصيلي: الإيمان أولاً بأن هذه الكتب حق وصدق من الله عز وجل، وأن نؤمن أيضا بما سمى الله عز وجل لنا من هذه الكتب، فالله سبحانه وتعالى سمى لنا التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، فيجب الإيمان بها كما سماها الله سبحانه وتعالى.

ومن الإيمان بها تصديق ما فيها من أخبار ما لم تطَلها يد التحريف، فأمّا القرآن فيجب تصديقه مطلقا؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. أما الكتب السابقة فقد أوكل الله حفظها إلى الأحبار، فلم يحفظوها، فقد قال الله عز وجل: ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾ المائدة: ٤٤، وحفظ الله خير من حفظ البشر.

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه، وهو أيضا عند البخاري (٣٠٣٥).

قوله: (ورسله):

الإيمان بالرسل من أركان الإيمان:

هل هناك فرق بين الرسول والنبي؟

بعض العلماء يقول: لا فرق بين الرسول النبي، بل هما بمعنى واحد.

والقول الآخر وهو الصحيح: أن هناك فرقًا بين الرسول وبين النبي؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ الحج: ٥٢، فهنا جعل الرسالة للرسول، وجعلها للنبي، فهذا دليل على أن هناك فرقًا بين الرسول وبين النبي.

أيضا يدل على أن هناك فرقًا بينهما أن النبي ﷺ قال حينما سئل عن عدد الأنبياء قال: **(مائة وأربعة وعشرون ألفا، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرًا)** رواه أحمد[1].

إذن هذه أدلة على أن هناك فرقًا بين الرسول وبين النبي.

إذا ثبت التفريق بينهما فما الفرق؟

قال بعض العلماء: الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه كنوح عليه السلام.

وهنا يكون إشكال: كيف يوحي الله عز وجل إلى نبي ولا يؤمر بتبليغ هذه الرسالة؟!

وقيل: الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين، يعني: أتى بشريعة جديدة إلى قوم مخالفين، والنبي من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم موافقين، فيكون مكمّلا لرسالة الأنبياء الذين قبله عليهم الصلاة والسلام.

هذا ما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في كتابه النبوات.

ويدل عليه أن النبي ﷺ أخبرنا أن أول الرسل هو نوح، والله عز وجل قال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ النساء: ١٦٣، وهذا دليل على أن نوحًا عليه

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٢٦٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه أيضا الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧)، وصححه الحاكم (٣٠٣٩)، وهو في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨).

الصلاة والسلام هو أول الرسل، وقبله كان إدريس وغيرهم من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كيف يكون الإيمان بالرسل؟

الإيمان بالرسل يكون: إيمانا إجماليا، ويكون إيمانا تفصيليا:

الإيمان الإجمالي: أن نؤمن بأن الله عز وجل أرسل إلينا هؤلاء الرسل من أجل هداية الناس وإرشادهم، والإيمان بمن أخبرنا الله عز وجل منهم، وأن نكون مصدقين لهم جميعا فيما أخبروا.

ومن تمام الإيمان بالرسل أن نعلم أن محمدًا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

الإيمان التفصيلي: الإيمان بمن سمى الله عز وجل في كتابه، فالله عز وجل قد سمى بعض الأنبياء في كتابه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، وقال عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ الشورى: ١٣.

وهناك بعض الأنبياء وردت تسميتهم في السنة ولم يرد تسميتهم في القرآن، فيجب أيضا الإيمان بمن سمي لنا في السنة، وأن نعلم أن هناك أنبياء كثرًا لا نعلمهم لكن الله يعلمهم، كما قال الله عز وجل: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ غافر: ٧٨.

أيضا من الإيمان بهم تصديقهم فيما أخبروا به، والإيمان بالمعجزات التي جعلها الله عز وجل تجري على أيديهم، وتصديقها، وأن هذا حق من الله سبحانه وتعالى.

ولا شك أن هذه المسائل تحتاج إلى جلسات طويلة حتى نفصل كل مسألة، لكن لو أردنا أن نفصل لما انتهينا من الأصول الثلاثة، ولا بعد سنة كاملة، ولكن نحن نحاول أن نشير إشارات ونرشدكم إلى مثل كتب الدكتور عمر الأشقر -شفاه الله وعافاه-، فله سلسلة قيمة تحدّث فيها عن الإيمان بالله وعالم الملائكة الأبرار وعالم الجن والشياطين وعالم الرسل والرسالات والكتب، وهي مؤلفات مفيدة ونافعة، وكذلك الشيخ حافظ الحكمي

-رحمه الله- في كتاب معارج القبول، وهو من أنفس الكتب ومن أعظمها التي بين فيها هذه المسائل بيانا شافيا.

قوله واليوم الاخر:

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان التي لا يصح ولا يتم إيمان عبد إلا بها، وسمي اليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، فهو آخر الأيام بالنسبة للإنسان، فلا يوم بعده، فهو خلود، إما في جنات عدن ونهر، وإما في نار تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى.

والإيمان باليوم الآخر قد دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن القرآن قول الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ البقرة: ١٧٧، وأيضا دل عليه سنة النبي ﷺ كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[(١)].

والإيمان باليوم الآخر يشمل:

أولا: الإيمان بالبعث، وأن الناس يبعثون بعد موتهم، والمراد بالبعث ما يكون بعد النفخة الثانية، فالنفخة الأولى يُصعق فيها من في السماوات ومن في الأرض، وفي النفخة الثانية يُبعث من في السماوات ومن في الأرض، وقد قال النبي ﷺ: **(إن الله عز وجل يُنْزِلُ يوم القيامة ماء فينبت الناس به كما ينبت البقل، فإنه لا شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عَجَبُ الذَنَب، فمنه يركب بنو آدم يوم القيامة)** رواه البخاري[(٢)].

وقد دل على الإيمان بالبعث قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الأنبياء: ١٠٤. وهذه الآية كثيرًا ما يستدل بها على المشركين الذين ينكرون البعث، وهو أن الله عز وجل يبين أنه كما خلق السماوات وكما خلق الأرض وكما خلق الإنسان وابتدأ خلقه فإن الله عز وجل قادر على أن يعيده مرة أخرى، بل ذلك أهون عليه سبحانه وتعالى.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح البخاري (٤٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو أيضا عند مسلم (٢٩٥٥).

وقال عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ المؤمنون: ١١٥، فلو كان الناس لا يبعثون يوم القيامة لكان خلقهم عبثًا، لكن الله عز وجل يبعثهم فيحاسب كل إنسان على ما قدّم في هذه الحياة.

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحساب والجزاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ الزلزلة: ٧-٨، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ الأنعام: ١٦٠.

إذن الناس يحاسبون يوم القيامة، فالمسلمون على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:

وهؤلاء كما أخبر النبي ﷺ عن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال: **(هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)**(١).

هذا ما يتعلق بالقسم الأول.

الصنف الثاني: الذين يحاسبون حسابًا يسيرًا:

وهم الذين تعرض عليهم أعمالهم ويقرّرون بها، كما قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ الانشقاق: ٧-٨.

الصنف الثالث: الذين يناقشون، والذي يُناقش الحساب يعذب كما قال النبي ﷺ لأم المؤمنين رضي الله عنها: **(من نوقش الحساب عذّب)**(٢).

هل الكفار والمشركون يحاسبون يوم القيامة؟

قال بعض العلماء: إنّهم لا يحاسبون لأنه ليس لهم أعمال صالحة يحاسبون عليها، بل يقادون مباشرةً إلى جهنم، وقيل: بل يحاسبون ويقرّرون بأعمالهم ثم يكون مأواهم جهنم وبئس المصير.

---

(١) رواه البخاري (٥٣٧٨)، ومسلم (٢١٨)، من حديث عمران رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

www. rashed. ws

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنة والإيمان بالنار، الجنة التي أعدها الله عز وجل لعباده المتقين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦﴾ النبأ: ٣١-٣٦، وقال سبحانه وتعالى أيضًا مبينا في الجانب الآخر عذاب أهل النار وأنها كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ النبأ: ٢٢-٢٤.

إذن فمن الإيمان باليوم الآخر أن يؤمن العبد بأن هناك جنة ونارًا، ومبحث الجنة والنار فيه تفاصيل كثيرة، لعلكم تعودون إلى كتاب الدكتور عمر الأشقر، وأيضًا إلى فتاوى الشيخ ابن تيمية -رحمه الله-، فهناك مسائل كثيرة تتعلق بالجنة والنار، لكن نحن نتحدث بشكل عام أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار.

ومما يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بفتنة القبر، أن يعلم العبد أنه منذ أن يدخل قبره أو منذ أن يفارق هذه الحياة فقد قامت قيامته، فبدايته تكون في قبره، فإما عذاب، وإما نعيم، فمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالفتنة، فتنة العبد في قبره، حينما يأتيه ملكان فيسألانه عن ربه وعن دينه وعن نبيه محمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، وأما الكافر أو المنافق فيقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

ومما يدخل في اليوم الآخر الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، فكما أن العبد يفتن فهو كذلك يعذب أو ينعم، والكافر أو المنافق يضرب بمرزبّة من حديد، يسمع صوته كل شيء إلا الإنس والجن، قال النبي ﷺ: **(لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)**[(١)] أي: من هول ما يسمعون من مصاب هذا الكافر أو المنافق الذي يعذب بالنار. وأيضًا قال النبي ﷺ: **(إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ)**[(٢)]، وقد

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن راهويه في مسنده (١١١٤)، والبيهقي في الشعب (٣٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه ابن حبان (٣١١٢)، وهو في السلسلة الصحيحة (١٦٩٥).

قال ﷺ أيضًا مبينًا عذاب أهل القبر: **(فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرّها ومن سمومها ويقول: رب لا تقم الساعة، أما المؤمن فيفسح له في قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روْحها وريحانها وطيبها ويقول: رب أقم الساعة)**(١).

هذا بعض ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

وقد ورد الإيمان باليوم الآخر في القرآن وأثبته بأدلة عقلية: قال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ التغابن: ٧، وقال الله عز وجل مبينا قدرته على إحياء الخلق مرة أخرى وبعثهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم: ٢٧، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ الحج: ٥-٦.

فإذا هذا دليل شرعي عقلي على قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى، وقد ورد في القرآن أدلة من الواقع تثبت قدرة الله على البعث، ومن ذلك قول إبراهيم عليه السلام وهو يسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى لينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ البقرة: ٢٦٠، وقال عز وجل: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٢٤٣﴾ البقرة: ٢٤٣، وقال عز وجل: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ البقرة: ٢٥٩، فكل هذا يدل على قدرة الله عز وجل على بعث بني آدم وعلى إعادة خلقهم، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير.

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٢٨٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، ورواه أيضا الطيالسي (٧٥٣)، والحاكم (١٠٧)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).

قوله و الإيمان بالقضاء والقدر:

من أركان الإيمان الإيمان بالقضاء والقدر، وقد دل عليه كتاب الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ القمر: ٤٩، ودل عليه حديث عمر بن الخطاب حينما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[1].

والإيمان بالقدر على أربعة مراتب، من أراد أن يحفظ هذه المراتب فليحفظ هذا البيت من الشعر وهو قول الناظم:

علم كتابة مولانا مشيئته   خلقه وهو إيجاد وتكوين

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى، وأن الله عز وجل علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه يعلم الكليات والجزئيات، لا كما يقول بعض الفلاسفة: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، وأن الله عز وجل علمه شامل لهذا الكون كله.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ، والمراد أن الله عز وجل كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم في اللوح المحفوظ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ الحج: ٧٠، فهذا دليل المرتبة الأولى: العلم، وفيه دليل المرتبة الثانية: الكتابة، وقد قال ﷺ: **(إن الله عز وجل قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)**.

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما من شيء في هذا الكون إلا وهو داخل في مشيئة الله عز وجل، لا يخرج عن مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى شيء، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ التكوير: ٢٩، فالمشيئة ثابتة لله عز وجل.

ومشيئة الله نوعان:

---

(١) تقدم تخريجه.

النوع الأول: المشيئة شرعية، وهي التي يقترن بها ما يحبه الله عز وجل، فالله سبحانه وتعالى يحب طاعة الطائع، ويحب الإيمان من المؤمن، ويحب الأعمال الصالحة، فهذه مشيئة شرعية.

النوع الثاني: المشيئة الكونية، ولا يشترط فيها المحبة بل الإرداة، فحتى ما لا يحبه الله عز وجل ولا يرضاه من كفر الكافر ومعصية العاصي فكلها تدخل ضمن مشيئة الله.

وبهذا التفريق والتقسيم نرد على السؤال الذي يقول: إذا كانت المعاصي غير محبوبة لله عز وجل فكيف تكون ضمن مشيئته؟ نقول: هي ضمن مشيئة الله عز وجل الكونية لا الشرعية.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، فما في هذا الكون من شيء إلا وقد خلقه الله سبحانه وتعالى، يقول الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ الرعد: ١٦، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ القمر: ٤٩.

هل للعبد مشيئة واختيار؟

نعم العبد له مشيئة واختيار، والإنسان يفرق بين ما يفعله بإرادته وبين ما لا يفعله بإرادته، يقول الله سبحانه وتعالى مثبتًا المشيئة للعباد: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦، فهناك تكليف ولا يكون إلا بمشيئة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الإنسان: ٣٠، وقال عز وجل: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ المزمل: ١٩، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ البلد: ١٠، أي: دللناه على الطريقين: طريق الخير وطريق الشر.

والإنسان يفرق بين الأفعال التي يفعلها بإرادته واختياره، وبين ما لا يفعله بإرادته واختياره، فقد يحرك يديه وهذه الحركة بإرادة واختيار، ولكن حينما يصاب بمرض وتبدأ يداه ترتعش فإنه يكون خارجًا عن مشيئته وإرادته؛ ولذا يقول بعض العلماء: إن الإنسان مسير خَلْقًا ومخيرٌ أخلاقًا، خلقُك تركيبُ وجهك طولك عرضك، هذه ليست لك أنت، وإنما هي من الله عز وجل، وأنت مسير عليها، لكن فيما يتعلق بأعمالك وإراداتك وتصوراتك فالله عز وجل أعطى العبد مشيئة بها يفعل وبها يترك.

هل يجوز الاستدلال بالقضاء والقدر على فعل المعاصي؟

يفعل البعض المعاصي ثم يقول: الله قضى وقدر، نقول: لا يجوز ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾ الأنعام: ١٤٨، كان المشركون يستدلون على شركهم بقضاء الله وقدره.

والعبد رسم له طريق الخير والشر ليسلك أيهما يريد، وقد قال ﷺ حينما بين للصحابة أن كل شيء في هذا الكون بقضائه وقدره، قالوا: فهل نتّكل يا رسول الله؟ قال ﷺ: (بل اعملوا، فكل ميسر لما خلق له)[(١)]، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ الليل: ٥-١٠.

وقد ضل في باب القضاء والقدر طائفتان، وأهل السنة والجماعة وسط بينهما:

الطائفة الأولى: الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على عمله.

الطائفة الثانية: القدرية وهم نفاة القدر الذين يقولون: إن الإنسان مستقلّ بعمله لا مشيئة لله عز وجل فيما يفعله.

فكان أهل السنة والجماعة وسطًا في هذا الباب، فأثبتوا أن كل ما يكون في الكون فهو بقضاء الله وبقدره وبمشيئته سبحانه وتعالى، ولا يخرج عن هذا شيء، ولكنهم أيضًا أثبتوا للعبد مشيئة وقدرة واختيارًا، به يفعل وبه يترك، ولهذا يقال: إن رجلا سرق في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحكم بقطع يده، فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، والله ما سرقت إلا بقضاء الله وقدره، فقال عمر: نحن لا نقطع يدك إلا بقضاء الله وقدره. وهذا من فقهه رضي الله عنه وأرضاه.

مسائل القدر كثيرة جدا، ولعلي أشير إلى كتاب قد جمع فأوعى وأتى على جميع المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر، ورد على جميع الفرق، وانتصر لمنهج أهل السنة والجماعة، وهو كتاب (القضاء والقدر) للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، جزاه الله خيرًا.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦٦)، ومسلم (٢٦٤٧)، من حديث علي رضي الله عنه.

www. rashed. ws

ثم استدل -رحمه الله تعالى- على هذه الأركان بقول الله عز وجل: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ البقرة: ١٧٧، فأتى بخمسة أركان ما عدا القضاء والقدر، وفي آية البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥، فأتى بالأربعة دون اليوم الآخر والقضاء والقدر، أما القضاء والقدر فقد ورد فيه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٩، وغيرها من الآيات التي وردت في هذا المقام.

قوله الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ:وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، ورد في الحديث: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[١]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ النحل: ١٢٨، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٧-٢٢٠، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ يونس: ٦١.

فالإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فأتى بأمرين:

الأمر الأول: أن يقوم العبد بالطاعة وهو يستشعر رؤيته لله عز وجل، قال: **(أن تعبد الله كأنك تراه)**.

المرتبة الثانية: إذا لم ستحضر رؤيته لربه فليستشعر أنه يراه، وبهذا يدخل العبد في مرتبة الإحسان، وهي من أعظم المراتب وأجلها، وهذا ما يسمى بالمراقبة، أن يدخل العبد في مقام المراقبة، أن يراقب الله عز وجل في كل كلمة يقولها، في كل عمل يفعله في كل لحظة، في سكونه، في حركاته، قبل أن ينام، بعد أن يستيقظ، تجد أنه يستشعر أن الله يراه ومطلع

(١) هذا طرف من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أركان الإسلام والإيمان، وقد تقدم تخريجه.

عليه، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله عز وجل يرى دبيب النملة السوداء، على الصّفاة الصمّاء، في الليلة الظلماء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء).

فإن حقق العبد هذا المقام كان كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ النحل: ١٢٨. وإذا كان الله معك فمعك الفئة التي لا تهزم.

والإحسان يكون في أمرين: الإحسان مع الخالق، والإحسان مع الخلق:

الإحسان مع الخالق يكون في إحسانك لعبادتك لله عز وجل، ولا يكون الإحسان في العبادة إلا إذا اجتمع لك أمور:

١- الإخلاص لله عز وجل.

٢- المتابعة للنبي ﷺ.

٣- أن يجتمع لك في أداء هذه العبادة الذل والمحبة، قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائرة ... ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

إذن حتى تكون محسنًا في هذه العبادة تحتاج إلى الذل والمحبة لله عز وجل، وبهذا يجتمع للإنسان الإحسان في عبادته.

والإحسان مع الخلق بكف الأذى وبذل المعروف، وبذل المعروف قد يكون بالمال، وقد يكون بالجاه، وقد يكون بكف الأذى، فإذا ما أدى العبد الذي بينه وبين الله وبينه وبين الخلق فقد حصلت له السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن الآيات التي استشهد بها قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ يونس: ٦١. وهنا يستحضر العبد مراقبة الله سبحانه وتعالى واطلاعه على أعماله الصغيرة والكبيرة، والآيات التي ذكرها رحمه الله كلها تدل على هذه المعاني العظيمة لهذه المرتبة مرتبة الإحسان.

قال: (**وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ**

رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ... الحديث):

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الأحاديث العظيمة، قال عنه الإمام ابن دقيق العيد في شرح الأربعين النووية: هذا الحديث أمُّ السنة، فكما أن سورة الفاتحة هي أم القرآن، فحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أم السنة، فقد اشتمل على الكثير من المسائل والأعمال الظاهرة والباطنة وأركان الإيمان والإسلام والإحسان، بل اشتمل على الدين كله.

قوله: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر...

(شديد بياض الثياب): النبي ﷺ كان يحب من الثياب البيض، وهذا دليل على أن طالب العلم ينبغي وهو يذهب إلى مجالس الذكر أن يستشعر مكانة هذا المجلس ومنزلته، وأن يستشعر هذا في ملبسه وفي جميع أموره؛ من أجل أن يعرف للعلم فضله وقدره ومكانته، وهذا ما كان يعمله العلماء رحمهم الله، حتى في دروسهم كما كان الإمام مالك رحمه الله يتهيأ بأحسن الثياب وأجملها عند ذهابه لتدريس تلاميذه وطلابه رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

قال: شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد:

هو مُستَنكِر يعني: رجل لا يعرفه أحد منهم، ومع هذا فهو شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، ليس عليه أثر السفر والتعب والغبرة التي ترى في وجه المسافر، فقد استغربوا هذا الرجل.

قال: حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه:

يعني أنه وضع ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ مقابلة لهما، ووضع كفيه على فخذيه، هل وضع كفه على فخذ النبي ﷺ؟ أم أنه وضع كفه على فخذ نفسه؟ والظاهر والله أعلم أنه وضع كفه على فخذه، وهذا أدل وأدعى للذل بين يدي العالم والخشوع بين يديه من أجل أن يأخذ من العالم أحسن ما لديه، وهذا يدل على أهمية أن يتحلى طالب العلم بالآداب والأخلاق المرعية والشرعية في هذا الجانب، فإن الشاعر يقول:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينفعان إذا هما لم ينصحا

فإذا لم تصلح أخلاقك وأدبك معهم فإنك لا تستطيع أن تأخذ من العالم علمه، ولا أن تأخذ من الطبيب دواءه، ومن الأخبار في ذلك خبر بقي بن مخلد الأندلسي رحمه الله، حينما أتى من بلاد الأندلس من أقصى بلاد المغرب ليأخذ العلم من الإمام أحمد، وكان الإمام ممنوعًا من الخروج من منزله، فذهب إلى الإمام فكان يأتي في كل يوم في زي سائل فقير، فيمكث عند باب الإمام ويقول: فقير محتاج، فيقوم له الإمام فيعطيه حديثًا أو حديثين، حتى اجتمع لديه من الأحاديث الكثير رضي الله عنه وأرضاه.

إذن هذا دليل على أهمية التحلي بالآداب وبالأخلاق الشرعية مع أهل العلم، وحينما تتأمل إلى تعاملنا نحن مع علمائنا وتعامل سلفنا مع علمائهم تجد أن البوْن شاسع والفرق عظيم، ولذلك بارك الله عز وجل لهم وفي علمهم، وقصرت بنا أخلاقنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه.

فائدة:

قوله: إنه كان يسأل النبي ﷺ عن الإيمان، فإذا فرغ النبي ﷺ قال له: صدقت... وكذلك عن الإسلام والإحسان.

قال العلماء: يستحب للسائل إذا سأل سؤالا وأراد أن يستفيد منه أن يذكر بعض الأمور التي تفيد الآخرين، وقد يسأل الشخص سؤالا وهو يعرفه، ولكن يريد أن يستفيد منه الآخرون، وهذا لا بأس به إذا كان بهذا الأسلوب المهذب، إذن فالسؤال قد يكون من أجل أن تستفيد أنت، وقد يكون من أجل أن يستفيد الآخرون، ولذا قال هنا: صدقت؛ من أجل أن يلفت انتباه الصحابة، فعلاً انتبهوا له حيث قال: (فعجبنا له يسأله ويصدقه).

قال: أخبرني عن الساعة، قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل):

والساعة علمها عند الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ النازعات: ٤٢، وقال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأنعام: ٥٩.

قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: (أن تلد الأمة ربتها):

(أن تلد الأمة سيدها): وذلك أنه كان في أوقات الحروب يأخذون الإماء، ويتسرى بها سيدها، فينجب منها ولدًا، فولدها سيد وهي أمة، ولذلك فإن هذه الأمة أم الولد إذا مات زوجها تعتق بموته، فقال: (أن تلد الأمة ربتها)، وكأن المقصود ليس فقط أن تلد الأمة ربتها، وإنما أن يكثر هذا الأمر ويفشو، وبالفعل هذا حدث وخاصة في الفتوحات وفي الحروب التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم، فقد كان يجتمع عند الشخص العدد الكبير من الجواري، فيتسرى بهن ويرزق منهن بأولاد، فيكونون أسيادًا، وتكون أمهاتهم إماء، ثم بعد ذلك تعتق بعد موت سيدها.

قال: (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان):

وهذا الأمر حدث كما ذكر النبي ﷺ، وهو أن الذين كانوا حفاة عراة فقراء لا يملكون شيئا وكانوا يرعون الغنم، أصبحوا الآن يتطاولون في البنيان، وهذا مما يدل على صدق نبينا ﷺ، وهو معجزة من معجزاته الخالدة.

هذه العلامات التي ذكرت في هذا الحديث هي من علامات الساعة الصغرى، والفرق بين علامات الساعة الصغرى والكبرى أن ما قبل المسيح الدجال هي كلها علامات صغرى، فبعثة النبي ﷺ علامة صغرى، قال: **(بعثت أنا والساعة كهاتين)**[١]، وغيرها من العلامات.

قال: ثم انطلق فلبثت مليًا، قال: (يا عمر، أتدري من السائل؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم):

وهذا يدل على فضل جبريل عليه السلام، وما له من فضل في أعناقنا عليه السلام، لأنه أتى للنبي ﷺ يستفسر عما يعرفه من أجل أن يصلنا هذا العلم من نبينا محمد ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

العناوين الرئيسية | المتن | المسائل

www. rashed. ws

الدرس الثامن

قال المصنف -رحمه اللّه-:

الأصل الثالث معرفة نبيكم محمد ﷺ

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولاً . نبئ بإقرأ . وأرسل بالمدثر . وبلده مكة بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ، والدليل قوله تعالى : (يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر) المدثر آية ١-٧ ، ومعنى قم فأنذر : ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ، وربك فكبر عظمه بالتوحيد ، وثيابك فطهر: أي طهر أعمالك من الشرك والرجز: الأصنام ،وهجرها : تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها . أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة . والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الإسلام ، وهى باقيه إلى أن تقوم الساعة .والدليل قوله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) النساء آية ٩٧-٩٩ .وقوله تعالى :(ياعبادى الذين ءامنوا إن أرضى واسعة فإيي فاعبدون) . العنكبوت آية ٥٦ .

قال البغوي رحمه الله :سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان .

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ:(لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة . والصوم .والحج . والأذان . والجهادوالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ، أخذ على هذا عشر سنين . وتوفي صلوات الله وسلامه عليه

ودينه باق وهذا دينه لاخير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه ، والخيرالذي دلها عليه التوحيد وجميع مايحبه الله ويرضاه ،والشر

الذي حذرها عنه الشرك وجميع مايكره الله ويأباه ، بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والانس .والدليل قوله تعالى:(قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ...) الأعراف آية ١٥٨ ، وكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى : (... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ...) المائدة آية ٣ . والدليل على موته ﷺ قوله تعالى:

(إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون) الزمر آية ٣٠ ، ٣١.

والناس إذا ماتوا يبعثون ، والدليل قوله تعالى (منها خلقنكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه آية ٥٥ .

وقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) نوح آية١٧ ، ١٨وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : (ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤ بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) النجم آية ٣١ . ومن كذب بالبعث كفر ،

والدليل قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) التغابن آية٧ ، وأرسل الله جيع الرسل مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) النساء آية ١٦٥ ، وأولهم نوح عليه السلام

وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده) النساء آية ١٦٣ ، وكل أمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاقوت ، والدليل قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت) النحل آية ٣٦ ، وافترض الله علىجميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع والطواغيت كثيرون . ورؤسهم خمسة ، إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس

إلى عبادة نفسه ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ماأنزل الله ، والدليل قوله تعالى : (لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم) البقره آية ١٥٦ وهذا هو معنى لاإله الاالله .

وفي الحديث "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله "
والله أعلم .

قال: (الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً):

هذا الأصل الثالث والأخير في هذه الرسالة، وهو معرفة العبد نبيه ﷺ، والمعرفة بالنبي عليه الصلاة والسلام تشمل أمورا:

تشمل معرفة اسمه ونسبه.

وتشمل معرفة بعثته عليه الصلاة والسلام، وبماذا ومتى وكيف كانت.

وتشمل أيضًا معرفة هجرته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وتشمل أيضا معرفة دعوته عليه أفضل الصلاة والسلام وجهاده.

وتشمل الأمر الأخير وهو معرفة موته ووفاته ﷺ.

فمعرفة النبي عليه الصلاة والسلام في غاية الاهمية؛ لأن معرفتك بالشيء تزيدك حبًا وإجلالاً له، ونبينا ﷺ كلما تعمقت في سيرته وكلما نظرت في مسيرته ازددت حبًا له عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أول هذه الأمور: معرفة نسبه، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

ونسب النبي ﷺ من أفضل أنساب العرب، يقول عليه الصلاة والسلام: **(إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم)**[(١)]، فهو خيار من خيار عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أبوه عبد الله مات والنبي ﷺ صغير، والنبي عليه الصلاة والسلام يقال له: ابن الذبيحين:

الذبيح الأول: إسماعيل عليه السلام في القصة المعروفة، قال الله تعالى عنها: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ الصافات: ١٠٢، قال في الآية: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ الصافات: ١٠٧.

والذبيح الثاني: هو والده عبد الله، وذلك أن عبد المطلب حينما رزق كان قد نذر لله نذرًا: إذا رزق بعشرة من الولد أن يذبح أحدهم، وكان عبد الله من أحب أبنائه إليه، فلما رزق بالعاشر أخذه من أجل أن يذبحه لأنه وقعت عليه القرعة بين أبنائه، فلما أراد أن يذبحه أمام الكعبة قال له الناس: لا تفعل ولكن اذهب إلى الكاهنة، فذهب إليها فقالت: ضع بينه وبين عشرة من الإبل قرعة، فإن خرجت على عبد الله فزد عشرة أخرى وثالثة ورابعة حتى يكون على الإبل، وبالفعل وضع القرعة حتى وصلت إلى مائة من الإبل، وبعد ذلك نحرها وجعلها للفقراء والمساكين والسباع لا يرد عنها أحدا.

وعبد المطلب اسمه: شيبة، لكن والده هاشم تزوج أمه من بني النجار في المدينة وأبقى ابنه شيبة عند أخواله، فلما مات هاشم ذهب أخوه المطلب إلى شيبة وأخذه، فحينما أقبل إلى مكة رأوه وعليه أثر السفر فظنوا أنه غلام اشتراه، فسموه عبد المطلب، والمطلب هو عمه، واسمه الحقيقي هو شيبة، هذا هو اسم النبي ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

www. rashed. ws

معنى محمد:

محمد إما اسم فاعل: وهو أنه من كثر حمده لله عز وجل.

أو أنه اسم مفعول أي: من يحمده الناس على خصال الخير التي فيه.

وقد ورد اسم النبي ﷺ في القرآن في آيات: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩، وورد في آية واحدة تسميته باسم أحمد حينما بشر به عيسى ابن مريم فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ الصف: ٦.

والنبي عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الصحيح له أسماء خمسة، فهو محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب أي: أنه لا نبي بعده. رواه مسلم[(١)].

ومن أراد مزيد اطلاع فيما يتعلق بنسبه واسمه فليراجع كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ) للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

قال: (وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ):

العرب قسمان:

١- العرب العاربة (قحطان).

٢- والعرب المستعربة (عدنان)، وهم الذين ينتسبون إلى إسماعيل عليه السلام، وهم كما قال في قصة هجرة إبراهيم عليه السلام بزوجته وابنه، هاجر بابنه وزوجته وجعلهما في مكة، فمرت بهم قبيلة جرهم وهي من قبائل العرب، واختلط بهم إسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم ونطق باللغة الفصحى، كما يقولون، وهو أول من نطق بها، فكانت العرب المستعربة هي من ذرية إسماعيل عليه السلام.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وهو أيضا عند البخاري (٣٣٣٩).

www. rashed. ws

وقال بعض العلماء: العرب على قسمين:

القسم الأول: العرب البائدة، وهؤلاء قد هلكوا، مثل قوم نوح وعاد وثمود وشعيب.

القسم الثاني: العرب الباقية، وهم على قسمين: عرب عاربة، وعرب مستعربة، وكلا التقسيمين صحيح.

قال رحمه الله تعالى: (وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً):

هذا عمر النبي ﷺ حين وفاته، فقد عاش ثلاثًا وستين سنة.

قال رحمه الله: (مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا رسولا):

النبي عليه الصلاة والسلام مكث أربعين سنة لم يوحَ إليه، وإنما كان يعرف بين الناس بأخلاقه العالية وببعده عن عبادة الأصنام والأوثان وببعده عن المحرمات كشرب الخمور وغيرها، وعرف النبي ﷺ بصدقه وأمانته وكثرة تأمله وتفكره وتدبره في خلق الله عز وجل، وكان يذهب إلى غار حراء فيتحنّث ويتعبد لله عز وجل الليالي ذوات العدد قبل البعثة، كان النبي ﷺ يعمل في رعي الغنم، وما من نبي من الأنبياء إلا ورعى الغنم، وقد رعاها النبي ﷺ على قراريط لأهل مكة، وكذلك عمل بالتجارة مع زوجته خديجة رضي الله عنها وأرضاها.

وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام هي ثلاث وعشرون سنة، ثلاثة عشر سنة قضاها النبي ﷺ في مكة، ثلاث منها دعوة سرية، وعشر سنوات دعوة جهرية، ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ومكث فيها عشر سنوات حتى توفاه الله عز وجل.

قال رحمه الله تعالى: نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ وهاجر إلى المدينة:

قال: (نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر): تحدثنا في اللقاء الماضي عن الفرق بين النبي وبين الرسول، وذكرنا أن هناك فرقا بينهما، وأن النبي من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه لقوم موافقين، والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين، هذا ما يتعلق بالفرق بين النبي والرسول.

وفالنبي عليه الصلاة والسلام مر بالمرحلتين:

١- مرحلة النبوة، نبئ بـ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، فلم يكن فيها أمر بالدعوة.

٢- ومرحلة الرسالة، فقد كان الأمر بالدعوة والرسالة في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③﴾ المدثر: ١-٣.

قال: (وبلده مكة):

بلد النبي ﷺ التي ولد فيها وترعرع وشب فيها هي مكة، ثم بعد ذلك هاجر إلى المدينة، وهجرة النبي ﷺ إلى المدينة لا تنفي محبته لمكة، بل إنه وهو يهاجر التفت إليها وهو يقول: **(والله إنك لأحب البلاد إلى الله، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت)**[1].

فمكة هي بلد النبي ﷺ، والمدينة هي أرض مهاجره وأنصاره رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال -رحمه الله-: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إلى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ⑦﴾ المدثر: ١-٧. وَمَعْنَى: (قُمْ فَأَنذِرْ): يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلى التَّوْحِيدِ. (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلى السَّمَاءِ):

هنا يقرر -رحمه الله- في هذا المقطع الذي استمعتم إليه أن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام كانت بالدعوة إلى التوحيد والنذارة والتحذير من الشرك بالله عز وجل، وهي دعوة المرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ البقرة: ٢١، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ البينة: ٥، فالله عز وجل بعث النبي محمدًا ﷺ بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وهنا لفتة عظيمة ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى- في تفسيره لقوله عز وجل: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، قال: ينذر من

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٠٥)، والترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح"، وصححه ابن حبان (٣٧٠٨)، والحاكم (٤٢٧٠)، وهو في صحيح سنن الترمذي (٣٠٨٢).

العناوين الرئيسية | المتن | المسائل

www. rashed. ws

الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: طهر أعمالك من الشرك كما تطهر الثياب من القذر، كذلك الأعمال يجب أن تطهر من الشرك بالله عز وجل، قال: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها تركها وهجر أهلها والبراءة منها ومن أهلها، وهذا كله هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

قال: (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ):

قال: أخذ على هذا عشر سنين، عشر سنين والنبي عليه الصلاة والسلام يدعو إلى التوحيد في مكة، هذا يبين لك أهمية التوحيد وأهمية الدعوة إليه، وأننا لا نستطيع أن نقيم أي أمر من أمور هذا الدين إلا بعد أن نقيم توحيد الله عز وجل، وإلا كيف تستقيم العبادة والأخلاق والعبادة فاسدة، إذن قبل كل شيء لا بد من الدعوة إلى التوحيد، ولابد من تعظيم الناس لله عز وجل، ومن إفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فإذا ما حصل هذا الأمر فإنه يكون من السهولة بمكان أن تقام في قلوب الناس محبة الله عز وجل وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

قال: (ثم عرج به إلى السماء):

أي: في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، قال الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الإسراء: ١، وقصتها باختصار أن النبي ﷺ كان في الحِجر، فأتى إليه ملكان شقا صدر النبي ﷺ، واستمر أثر هذا الشق إلى وفاته عليه الصلاة والسلام، ثم أخرجا قلبه وغسلاه، ثم ملآه حكمة وإيمانا، ثم أسري به، هنا مرحلة الإسراء بالنبي علي الصلاة والسلام إلى بيت المقدس عبر دابة يقال لها: البراق، وهي بين الحمار والبغل، يقع حافرها حيث انتهى بصرها، حتى وصل إلى بيت المقدس، ووجد الأنبياء هناك عليهم الصلاة والسلام، فصلى بهم جميعا، ثم عرض بعد ذلك على النبي ﷺ لبنٌ وخمر، فشرب النبي ﷺ اللبن، فقال جبريل: هديت إلى الفطرة، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، والمعراج: هو الصعود إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل عليه السلام فقال: من؟ قال: جبريل ومعي محمد، قال: أوقد أرسل إليه؟! قال: نعم، قال: مرحبا به، ثم فتح

له في السماء الدنيا، وفي بعض الروايات قال: نعم مرحبا به فنعم المجيء مجيئه، في السماء الدنيا التقى النبي عليه الصلاة والسلام بأبينا آدم، فقال جبريل عليه السلام: هذا أبوك آدم، فسلم عليه النبي ﷺ، فقال آدم عليه السلام: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به إلى السماء الثانية، وفيها يحيى وعيسى، وهما أبناء الخالة، فسلم عليهما، وقالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به إلى السماء الثالثة ووجد فيها يوسف عليه السلام، فسلم عليه فردّ يوسف عليه السلام: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به إلى السماء الرابعة وفيها هارون، والسماء الخامسة وفيها موسى عليه السلام، فلما انصرف عنه النبي ﷺ بكى موسى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن فتى أتى من بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي، وهذا من فضل الله عز وجل علينا، ثم عرج به إلى السماء السابعة وفيها إبراهيم عليه السلام، وكان مستندًا إلى البيت المعمور، وهو بيت محاذ للكعبة في الأرض يطوف كل يوم حوله سبعون ألف ملك لا يعودون إليه مرة أخرى، ثم أتى إلى سدرة المنتهى فغشيها ما غشيها من جمال وبهاء وحسن، وفي القصة المعروفة فرضت على النبي ﷺ خمسون صلاة، فذهب النبي ﷺ وفي طريقه التقى بموسى، قال: كم فرض الله عليك؟ قال: خمسين صلاة، قال: لقد خَبِرت الناس قبلك وإن قومك لا يطيقون هذا، فما زال النبي ﷺ يتردد حتى فرضت علينا الخمس صلوات، فقال الله عز وجل: لقد أمضيت فريضتي فهي خمس في العمل وخمسون في الميزان[(١)].

هذا كذلك من فضل الله عز وجل علينا، وقد أتى النبي ﷺ إلى مكة فأخبر المشركين بذلك، فأخذوا يسخرون من النبي عليه الصلاة والسلام، فقالوا: نحن أحدنا يضرب أكباد الإبل إلى الشام، في ذهابه شهر وفي إيابه شهر، وأنت تذهب إليها في ليلة! فقالوا: صف لنا بيت المقدس، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(فرفع لي جبريل بيت المقدس وجلاه لي، فأخذت أصفه وصفا دقيقًا)**[(٢)]، ثم أخبروا أبا بكر قالوا: أما رأيت ما قال صاحبك؟!

---

(١) قصة الإسراء والمعراج رواها البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٤)، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (١/ ٦٥).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

قالوا: يقول كذا وكذا! قال: صدق، قال: تصدقه في هذا؟! قال: أنا أصدقه فيما هو أبعد منه، أصدقه في الخبر الذي يأتيه من السماء[(١)].

الهجرة:

الهجرة كما ذكر -رحمه الله- هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي فريضة على هذه الأمة، وهذه الفريضة والهجرة كما ذكر العلماء على قسمين:

١- هجرة واجبة.

٢- وهجرة مستحبة.

إذا كان العبد لا يستطيع أن يأمن على دينه ولا يستطيع أن يظهر شعائره فيجب عليه أن يهاجر من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، أما إذا استطاع أن يعلي دينه وأن يأمن على دينه وأن يظهر شعائره فتكون الهجرة عند ذلك مستحبة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وتكون كذلك مستحبة من بلد البدعة إلى بلد السنة، ومن بلد المعصية إلى بلد الطاعة؛ لأن بقاء الإنسان مع إخوانه من أعظم الأمور التي تثبته على دين الله عز وجل، والنبي ﷺ حث أصحابه على الهجرة، وهاجروا الهجرتين: الأولى والثانية إلى الحبشة، ثم هاجر النبي ﷺ في القصة المعروفة إلى المدينة.

والدليل على وجوب الهجرة وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام قول الله عز جل: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ النحل: ٢٨، فالملائكة هنا تعاتبهم: ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ النساء: ٩٧، أخذ العلماء من هذا وجوب الهجرة وأنها واجبة على من لم يستطع أن يظهر دينه أو أن يقيمه، لكن قلنا: إن الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

---

(١) رواه الحاكم (٤٤٠٧، ٤٤٥٨) عن عائشة رضي الله عنها، وصححه، وهو في السلسلة الصحيحة (٣٠٦).

تحرير مصطلح بلد الشرك:

قيل: إن بلد الشرك هي التي يظهر ويفشو فيها الشرك، وبلد الإسلام هي التي لا يظهر فيها ذلك، بل يظهر ويفشو فيها تعاليم ومظاهر الإسلام.

وكان المجاهدون إذا أرادوا أن يغزوا انتظروا حتى يروا أولئك القوم هل يسمع لهم الأذان؛ لأنه من الشعائر العظيمة في الدين، ثم بعد ذلك يغيرون على أهل تلك البلاد والنواحي.

ومصطلح (ديار الشرك وديار الإسلام) يحتاج إلى تحرير كبير وبسط ليس هذا مقامه، ومن ذلك الأحكام المترتبة على كون هذه الأرض أرض إسلام أو كفر.

الحاصل أن الهجرة واجبة، وأن هذا الوجوب يتأتى إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يأمن على دينه ولا أن يقيم شرائع الله عز وجل، لكن في مثل هذا الزمان الوضع مختلف، لا يستطيع الإنسان أن يهاجر إلى البلاد الإسلامية إلا عن طريق تأشيرة أو فيزا ونحو ذلك، وقد لا يتأتّى للإنسان أن يحصل عليها، فإذا لم يتأتّ له الحصول عليها فإن الهجرة لا تكون في حقه واجبة، قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ النساء: ٩٨، إذا لم يستطيعوا السفر بسبب ضعف فيهم أو عدم معرفة بالطريق فإن هؤلاء لا تجب عليهم الهجرة ويدخلون في قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، ومثلهم من لا يجدون تأشيرة حتى ينتقل إلى البلاد الإسلامية.

قال: (فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام من الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه):

مكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة، كان التركيز على قضايا التوحيد، ثم بعد ذلك في المدينة فرضت بقية شرائع الإسلام، الصلاة فرضت في المدينة، لكن أصلها فرض في مكة، فكانوا يصلون ركعتين، فأقرت الركعتان في السفر وزيد في صلوات الحضر، كذلك الزكاة كانت معروفة قبل الهجرة، لكن تحديد أنصابها والمستحقين لها وما يتعلق بذلك، كل ذلك حددته الآيات المدنية، وبقية الأعمال التي شرعت هي أكثرها في مدينة النبي ﷺ في العشر سنوات التي قضاها عليه أفضل الصلاة والسلام في المدينة.

قال: (وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة، افترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨، وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣).

قال: وبعدها توفي النبي ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر: ٣٠، وقال عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٤، لكن النبي ﷺ ما مات إلا وقد دلنا على كل خير وحذرنا من كل شر، وأعظم الخير الذي دلنا عليه النبي ﷺ هو توحيد الله وإفراده بالعبادة، وأعظم الشر الذي حذرنا منه النبي عليه الصلاة والسلام هو الشرك بالله عز وجل، وأعظم كلمة بينها لنا النبي ﷺ هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يقول أبو ذر رضي الله عنه: (ما ترك النبي ﷺ من شيء ولا طائر في السماء إلا وأعطانا من خبره)[(١)]، وسلمان الفارسي حينما قال له رجل: علمكم نبيكم حتى الخراءة وهي آداب قضاء الحاجة، قال: (نعم، علمنا ﷺ أن لا نستقبل القبلة بغائط أو بول وغير ذلك)[(٢)].

والنبي ﷺ ما تركنا حتى أتم لنا هذه الشريعة، وأكملها لنا الله عز وجل حق الإكمال، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، بيّن لنا الخير لنتبعه، وبيّن لنا الشر لنحذر منه، ولتستبين سبيل المجرمين.

وكل نبي من الأنبياء قبله كان يبعث في قومه خاصة، إلا النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كانت بعثته عامة للناس جميعا، دل عليها قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢)، والطيالسي (٤٧٩)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥)، وصححه ابن حبان (٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢).

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الأحقاف: ٢٩، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ الذاريات: ٥٦، وقال ﷺ كما في صحيح مسلم: **(لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا حرم الله عليه الجنة)**، أو: **(إلا كان من أصحاب النار)**[1]، وبهذا أتم الله عز وجل علينا النعمة، فكما قال عز وجل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

يقول -رحمه الله تعالى-: (والدليل على موته صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ الزمر: ٣٠-٣١، والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ طه: ٥٥، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ نوح: ١٧، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ النجم: ٣١، ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ التغابن: ٧. وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين):

هذه المسائل تم التعليق عليها في اللقاءات الماضية، سواء ما يتعلق بالأدلة على موت النبي ﷺ أو ما يتعلق بالبعث أو ما يتعلق بالإيمان بالحساب والجزاء، وتحدثنا عن هذه الأركان في الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر، تحدثنا عنها وبينا الأدلة على ذلك، ولعل الشيخ -رحمه الله- أعاد الحديث مرة أخرى عما يتعلق بالبعث لأنه لما بدأ دعوته الإصلاحية ودعوته للناس إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ كان كثير من الأعراب في البادية يظنون أنه ليس هناك بعث، وأن الإنسان يجازى بأعماله الصالحة أو السيئة في الدنيا؛ ولذلك أكد الشيخ -رحمه الله- على هذه المسألة.

(١) تقدم تخريجه.

العناوين الرئيسية المتن المسائل

قال -رحمه الله-: (وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٦٥، وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ النساء: ١٦٣):

هذا بيان للحكمة من إرسال الرسل، وأن الله عز وجل أرسلهم مبشرين ومنذرين، وذلك من تمام رحمة الله عز وجل، وقد أتينا على هذا في بيان الركن الرابع وهو الإيمان بالرسل، وثمار هذا الإيمان برسل الله سبحانه وتعالى، وبينا أن أول الرسل نوح عليه السلام كما قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾، وأما آدم عليه السلام فكان نبيا ولم يكن رسولاً؛ ولهذا في حديث الشفاعة قال: **(ويأتون لنوح عليه السلام فيقولون: إنك أول رسل الله عز وجل)**[(١)]، وهذا دليل على أن أول الرسل هو نوح وليس آدم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال -رحمه الله تعالى-: (وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد ﷺ، يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله):

هذا بيان أن دعوة جميع الأنبياء والمرسلين كانت إلى توحيد الله عز وجل وإلى إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، وهذا أيضا يبين لنا أهمية هذا التوحيد وأهمية العناية به وأهمية نشره بين الناس وأهمية دعوة الناس إليه، وأنه يجب أن يكون له الأولية في دعوتنا إلى الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع):

قال: أوجب الله عز وجل على عباده الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وهي دلالة النفي والإثبات التي تحدثنا عنها في معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يتم الإيمان بالله إلا

(١) حديث الشفاعة رواه البخاري (٣١٦٢)، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

بالكفر بالطاغوت، ولا يتم الولاء إلا بالبراء، ولا يتم التوحيد إلا بالبراءة من الشرك وأهله، وغير ذلك من المسائل التي فصلناها في هذه الدروس.

ثم عرف -رحمه الله- الطاغوت فقال: الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع.

الطاغوت: مأخوذ من طغى يطغى: إذا تجاوز الحد، والعاصي طاغٍ لأنه تجاوز الحد الذي أمره الله سبحانه وتعالى به.

قال: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود يعبد من دون الله عز وجل، وهذا كثير، أو متبوع يتبعه الناس دون النبي ﷺ، أو مطاع يطيعه الخلق دون النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال رحمه الله تعالى: (الطواغيت كثير، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض):

إبليس -لعنه الله- هو أول الطواغيت، قال عز وجل ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** ﴾ يس: ٦٠، ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ** ﴾ إبراهيم: ٢٢، فالشيطان طاغوت؛ لأنه عبد من دون الله سبحانه وتعالى.

الثاني: من عبد وهو راض:

من يُعبد وهو راض كذلك هو طاغوت، لكن من عُبد وهو لم يكن راضيًا فليس عليه شيء، ولا يعتبر من الطواغيت، يقال: إن النبي ﷺ كان مع المشركين، وكان يتحدث معهم، وكان بينه وبين النضر بن الحارث حديث، فالنبي عليه الصلاة والسلام خَصَمه وأَلْجَمه بالحُجّة، ثم قال له ﷺ: **(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)**، فأتى رجل للنضر بن الحارث وقال له: لو رأيت الوليد بن المغيرة لم يقم من النبي ﷺ ولم يقعد فقد ألجمه، قال: ماذا قال؟ قال: قال كذا وكذا، قال: ألم تقولوا لمحمد -يريد أن يحاج النبي ﷺ-: إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم، نحن نعبد الملائكة فهم حطب لجهنم، واليهود يعبدون عزيرًا؟! فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ**

﴿لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ الأنبياء: ١٠١-١٠٣[١].

فهذا دليل على أنه من عُبد وهو لم يكن راضيًا فليس عليه شيء.

وقال سبحانه وتعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ المائدة: ١١٦.

ومن عُبد وهو راضٍ يوجد منهم كثير، فدعاة الطرق الصوفية والإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية وغيرهم يقدّسون معبوديهم ومتبوعيهم أكثر مما يقدسون النبي ﷺ، ولهذا يعتبرون طواغيت؛ لأنهم عبدوا من دون الله عز وجل وهم راضون بذلك.

ثالثا: ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه:

هناك أناس يدعون إلى عبادة أنفسهم، ومن هؤلاء زعيم الطائفة القاديانية، في البداية قال: أنا مسلم، ثم قال: أنا عيسى ابن مريم، ثم قال: أنا نبي جديد وأتى بشرائع جديدة، وأصبح أتباع الطائفة القاديانية يتبعونه ويطيعونه كما يتبع النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فهذا دعا الناس إلى عبادة نفسه.

رابعا: ومن ادعى شيئا من علم الغيب:

وكذلك من ادعى علم الغيب، ويدخل فيه السحرة والكهنة والمشعوذون وغيرهم، لأن علم الغيب لله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ النمل: ٦٥.

خامسا: ومن حكم بغير ما أنزل الله:

كذلك من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت، والحكم بغير ما أنزل الله على قسمين:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٩٠).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

قد يكون كفرا أكبر إذا كان الحاكم بغير ما أنزل الله مستحلاً للحكم بغير ما أنزل الله، ويرى أنه أفضل وأحسن وأحكم وأعدل من الحكم بما أنزل الله.

ويكون كفرا أصغر إذا حكم وهو ليس مستحلاً له، بل يرى في نفسه أنه عاص لله عز وجل، فهذا هو المراد من قول الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة: ٤٤، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إنه كفر دون كفر)[1]، والعلماء في هذه المسألة لهم تفاصيل كثيرة جدًا، لعلنا إن شاء الله في شرح كتاب التوحيد نتوسع فيها.

قال رحمه الله تعالى: (والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ البقرة: ٢٥٦):

لا يتم إيمان العبد إلا بإيمانه بالله وكفره بالطاغوت، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، والرشد هو التوحيد والإيمان والعلم، والغي هو الشرك والضلالة، والعروة الوثقى المراد بها هنا كلمة (لا إله إلا الله)، فلا تتم لك هذه الكلمة ولا يتم الاستمساك بها إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله عز وجل.

قال: (وهذا معنى لا إله إلا الله):

هذا هو معنى (لا إله إلا الله) الذي هو النفي والإثبات، وقد فصلنا الحديث عنه في أوائل هذه الدروس.

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٠)، وصححه الحاكم (٣٢١٩).

العناوين الرئيسية المتن المسائل

www. rashed. ws

قال: وفي الحديث: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[(١)] والله أعلم:

(رأس الأمر الإسلام) وهو شهادة أن لا إله إلا اله وأن محمدا رسول الله، (وعموده الصلاة) وهي من أعظم أركان هذا الدين التي يجب على العبد أن يحافظ ويحرص عليها، (وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)، ولا يتم المحافظة على هذا الدين إلا بإعلاء الجهاد في سبيل الله عز وجل، والجهاد هو ذروة سنام الإسلام كما أخبر النبي ﷺ، وكون الجهاد في فترة من الفترات يتوقف ليس معناه أن الجهاد يلغى من الشريعة، ولكن هناك أمور يراعيها ولاة الأمور والعلماء في هذه المسألة، لكن لا شك أن الجهاد من أعظم العبادات التي يُتقرب بها إلى الله عز وجل، ولا سبيل إلى المحافظة على مقدراتنا والخير الذي أنعم الله عز وجل به علينا وأعظمه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بالجهاد ذروة سنام الإسلام.

وهنا أنبه إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أن الجهاد في سبيل ليس مقصودا لذاته، بل لتبليغ دين الله عز وجل.

هذا آخر كلام المصنف رحمه الله، وأنا على يقين أننا لو واصلنا شهرين متتابعين في كل يوم نلقي درسا ما أتينا على هذا الكتاب بشكل كامل، لكن حسبنا الإشارات.

أسأل الله بمنه وكرمه وفضله ورحمته لشيخنا أفضل الجزاء وأعظمه وأوفره، وأن يجعل ما شرحه وما سمعناه حجة لنا لا علينا، وأن يزيد شيخنا شرفًا وعزًا وكرامة في الدنيا والآخرة اللهم آمين.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي وعملكم خالصا لوجهه الكريم، وبهذا ننهي هذه الدروس في شرح الأصول الثلاثة للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-، ولعله اتضح لكم من خلال هذه الدروس العلم الغزير الذي تحتويه هذه الرسالة، ولهذا كان العلماء في عصور مضت يكثرون من قراءة هذا الكتاب

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، من حديث معاذ رضي الله عنه، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الحاكم (٢٤٠٨)، وهو في السلسلة الصحيحة (١١٢٢).

www. rashed. ws

على الناس، وخاصة أئمة المساجد، وكان الناس يحفظون هذا الكتاب عن ظهر قلب، وهذا ما جعل توحيدهم وإيمانهم بالله عز وجل عظيمًا، فإن من أعظم الأمور التي يجب أن يعلمها العبد أن يعلم هذا التوحيد الذي أنزله الله عز وجل وأمر به وبعث الرسل من أجله وأنزل الكتب من أجله سبحانه وتعالى، فنحمد الله على أن جعلنا من أهل التوحيد، ونسأله عز وجل أن يختم لنا ولكم بكلمة (لا إله إلا الله)، إنه جواد كريم.